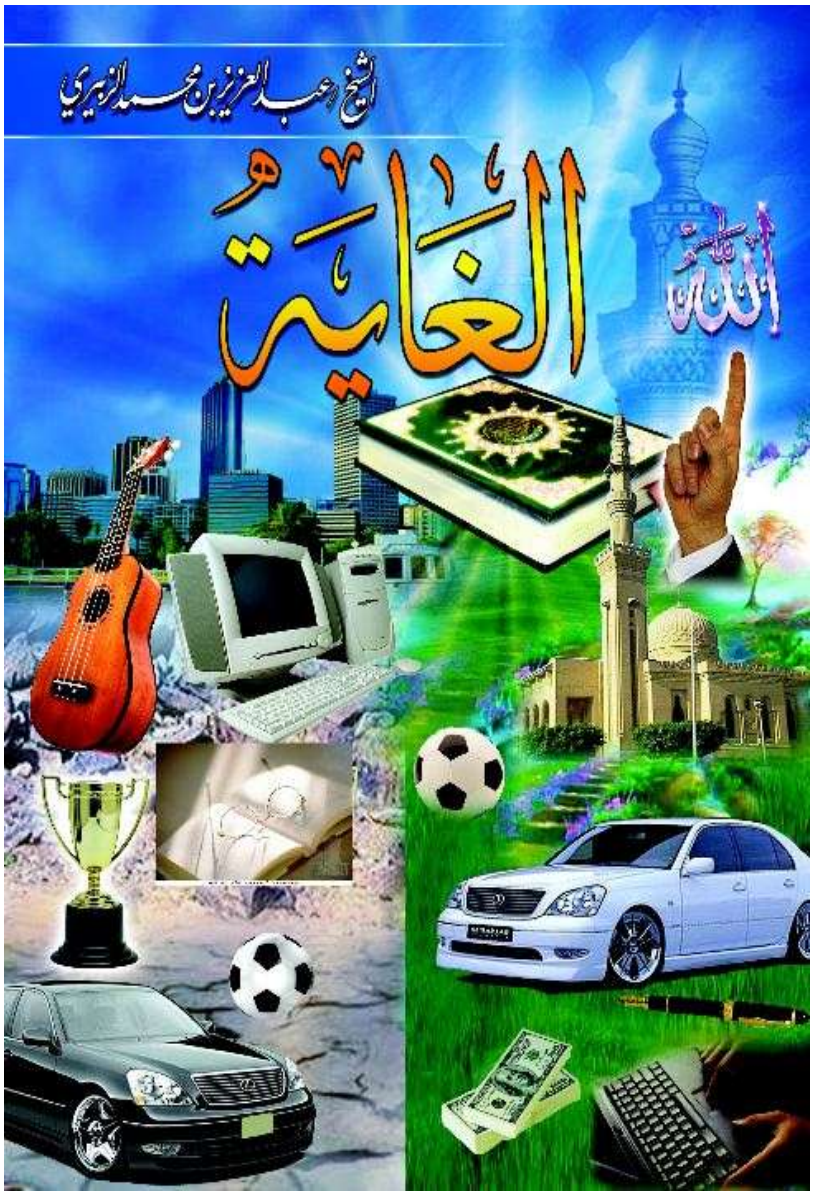

الشيخ/ عبد العزيز بن محمد الزبيري
الغاية
الله

الغـــايــة

تأليف

الشيخ / عبد العزيز بن محمد الزبيري

حقوق الطبع محفوظة لكل مسلم

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع

(١٥٢ - ٢٠٠٥م)

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى كل باحث عن قصة الحياة وسر الوجود.

إلى من يعاني من كثرة الوساوس والشكوك، والهواجس وَالظُّنُون في أمر الحياة والموت.

إلى كل من يشعر في حياته بالنقص والحرمان ممن ابْتُلِي بقلة المال وضيق المعيشة.

إلى من ابتلاه الله بِالعُقْم، وَحُرِمَ الذرية.

إلى كل من يتسخط من واقعه، ويتشاءم من المستقبل.

إلى كل من أصابته الهموم، وَحَلَّتْ به الكروب.

إلى كل من وقع عليه الظلم، ولم يجد العدل والإنصاف.

أهدى هذا الكتاب.

مقدمة فضيلة القاضي العلامة/ محمد بن إسماعيل العمراني

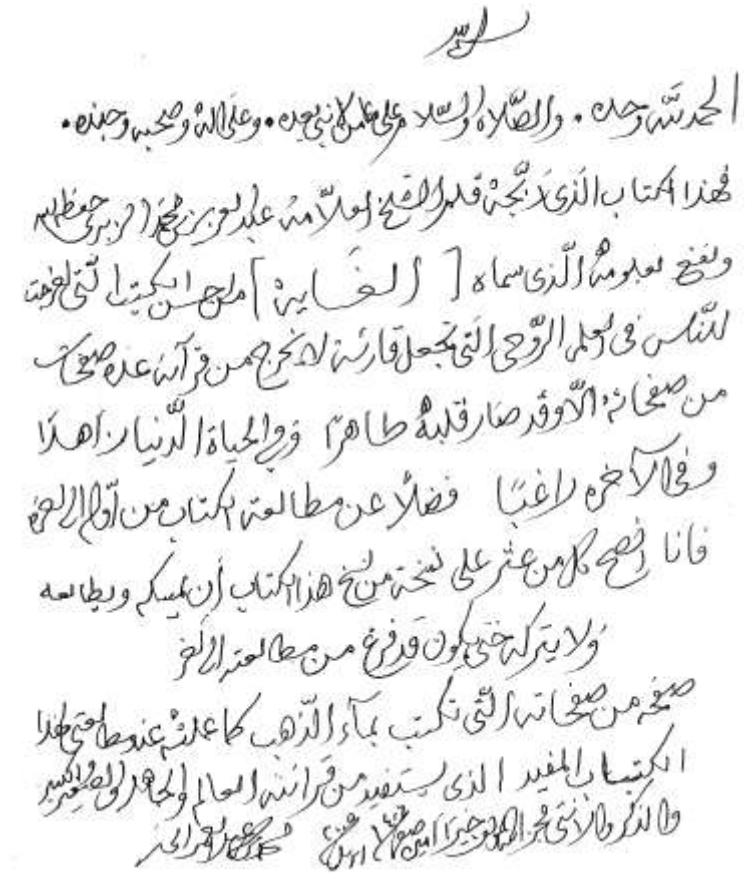

مقدمة فضيلة القاضي العلامة/ محمد بن إسماعيل العمراني

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وجنده.

فهذا الكتاب الذي دَبَّجَه قلم الشيخ العلَّامة/ عبد العزيز بن محمد الزبيري حفظه الله ونفع بعلومه، الذي سَمَّاه: (الغاية) من أحسن الكتب التي أُخرجت للناس في العلم الروحي، التي تجعل قارئه لا يخرج من قراءة عدة صفحات من صفحاته إلا وقد صار قلبه طاهراً، وفي الحياة الدنيا زاهداً، وفي الآخرة راغباً، فضلاً عن مطالعة الكتاب من أوله إلى آخره، فأنا أنصح كل من عثر على نسخة من نسخ هذا الكتاب أن يمسكه ويطالعه، ولا يتركه حتى يكون قد فرغ من مطالعته إلى آخر صفحة من صفحاته التي تُكتب بماء الذهب، كما عملته عند مطالعتي لهذا الكتاب المفيد، الذي يستفيد من قرائته العالم والجاهل والصغير والكبير والذكر والأنثى، فجزى الله المؤلف خيراً، آمين.

محمد بن إسماعيل العمراني

صفر/ ١٤٢٦هـ

الموافق/ إبريل/ ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الاستاذ المربي/ محمد حمود الخميسي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعـــد:

فإن لخلق الإنسان حكمة وغاية خلقه الله لأجلها، يجب أن يعيش حياته لتحقيقها، ويوجه جهوده ومساعيه في الحياة لبلوغها، فذلك سبيل نجاته ونجاحه وفلاحه وسعادته في حياته الأولى والآخرة.

وفي حياة المسلمين المعاصرة أفراداً ومجتمعات؛ العديد من المظاهر الدالة على وهن وضعف الصلة بينها وبين الحكمة من خلق الإنسان المشار إليها في قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك:٢] وبينها وبين الغاية التي خلق الله الإنس والجن من أجلها والتي بَيَّنها الله في قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] ولعل ما صار إليه حال المسلمين من ضعف وهوان، وفُرقة وشتات، مَكَّنَ لأعدائهم من التسلط عليهم، واستضعافهم واستباحة حرماتهم وحقوقهم،

لعل هذا الحال أثر من آثار ضعف ووهن صلتهم بدينهم، وبالغاية التي عليهم أن يعيشوا حياتهم لها ويوجهوها وجهتها ويطبعوها بطابعها، ولا بد للدعاة إلى الله وعلماء الإسلام من التصدي لمعالجة هذا الخلل، بما يقوي صلة المسلمين بدينهم، ويوثق إرتباطهم علماً وعملاً بغاية وجودهم، ويوجه حياتهم نحو تحقيقها وبلوغها.

وقد قام الأخ العزيز الشيخ/ عبد العزيز بن محمد الزبيري حفظه الله بجهد مشكور في هذا الباب، من خلال ما يقوم به من دروس ومحاضرات، ثم عززها بكتابه هذا الذي نقدمه للقارئ الكريم والذي وجدت فيه من خلال اطلاعي عليه علماً نافعاً وزاداً إيمانياً وافراً.

نسأل الله تعالى أن ينفع به عباده وأن يجزي مؤلفه خير الجزاء، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

الراجي عفو ربه:

محمد حمود الخميسي

جمادى الأولى/ ١٤٢٦هـ

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين، مَنْ أرسله الله رحمة للعالمين، وهداية للحيارى التائهين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن موضوع الغاية يكتسب أهمية كُبْرى يُقاس حجمها بهذا الكون كله، فما من ذرة في الأرض، ولا صَدَفَةٍ في البحر، ولا كوكب في السماء، إلا ويحكي قصة الحياة، وسر هذا الوجود: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١].

وقد تكون رحلة هذا الإنسان قصيرة ومحدودة، وَرُبَّمَا تافهة وحقيرة، إلا في حالة واحدة، وهي حين يعيش الإنسان هذه الحياة وِفْقاً للغاية التي خلقه الله من أجلها، هذا وحده هو الذي يجعل لحياة هذا الإنسان مَعْنىً وقيمة وثمرة، ويجعل للإنسان قدراً ومكانة ورفعة في الدنيا والآخرة، بدون هذا المعنى تفتقد الحياة طعمها ومعناها وفائدتها وثمرتها، فتكون أشبه بالوردة الصناعية، شَكْلُهَا مُغْرٍ، وألوانها زاهية، لكنها في الحقيقة كائن ميت، لا إحساس فيها ولا طعم لها ولا رائحة.

أخي فما هي غايتك في هذه الحياة؟!

لا تُهَوِّن مِنْ قَدْرِ نفسك، ولا تُقَلِّل من شأنها، فأنت غالٍ جِداً.

فأسألك: لماذا تعيش في هذه الدنيا؟! لتأكل وتشرب ثم تموت! هل يُعْقَل هذا؟!

إن هذه الحياة بالنسبة لك؛ الفرصة الوحيدة لتحقيق السعادة والرفعة وَالصُّعُوْد، والتَرَقِّي في درجات العزة والمجد في الدنيا والآخرة.

فهل يُقْدِم عاقل على إضاعة مثل هذه الفرصة؟ وإهدار هذا المكسب العظيم؟

تَأَمَّل حركة الناس صباح كل يوم، وهم يتوجهون إلى أعمالهم وحتى مساء كل يوم، ما هدف وما غاية كل واحد منهم؟ وما علاقة وطبيعة أعمالهم مع الله عزوجل؟ وما مَدَى صلتهم وارتباطهم بمنهج خالقهم؟ وما علاقة كل ذلك بالحياة الآخرة؟!

وهكذا في شأن حياتهم وموتهم.

ولا شك أن لكل إنسان مواهب وقدرات، كما أن لكل إنسان هموم ومخاوف، وطموحات وآمال، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، ولابد من الإجابة عليه.

ما هو المرتكز أو المحور الاساسي الذي تنطلق منه وتهدف إليه تلك المواهب والقدرات، وتدور حوله تلك الهموم والمخاوف والآمال؟

إن وجود الغاية التي هي مرتكز الحياة ومحورها أَمْرٌ هَامٌّ جداً، وفي غيابها أونسيانها يختل التوازن الحضاري لدى الفرد والمجتمع والأمة والدولة، فَتُهْدَر الطاقات وتقتل المواهب، وتختفي التطلعات والهموم الحقيقية التي تصاحب العقليات والمجتمعات المتخلفة، وربما أدى ذلك الإختلال إلى العيش على هامش الحياة وخارج دائرة الفاعلية والإيجابية فكثير من الناس يعيش حياته خارج نطاق الغاية التي خلقه الله لأجلها.

يقول أحدهم، تخرجت من المدرسة بمجموع كذا، ثم التحقت بكلية كذا، ثم تخرجت، ثم عملت في المكان الفلاني،

وتزوجت، وكسبت من المال ما كسبت، ثم ماذا؟ ما هي النتيجة بعد ذلك كله؟ ثم أموت!

فهل لحياتي هذه قيمة؟!

ولو أنّا إذا متنا تركنا لكان الموت غاية كل حيٍّ

ولكنّا إذا متنا بعثنا ليسأل رَبُّنا عن كل شيٍّ

وفلان من الناس؛ يجري وراء المال يصبح ويمسى مهموماً به، ويبذل في جمعه قُصارى جهده.

وآخر يلهث وراء المتع والشهوات، وكلما نال منها شيئاً ازداد لها نَهَمَاً ورغبةً، ثم ما هي النتيجة لذلك كله؟ وما الغاية وما الهدف من وراء هذا؟

ومثل ذلك من جعل همه وطموحه المنصب والجاه، أو الحصول على الشُّهرة والبطولة والنجومية في الملاعب، أو على خشبة المسرح وقاعة السينما وشاشة التلفزيون، وربما تحقق ذلك، فأصبح فلان

من الناس ذا منصب وجاه وأمر ونهي، أو نجماً في ملاعب كرة القدم أو السَّلَّة أو التِّنس، أو بطلاً كما يقال في لعبة الشطرنج، أو في السباحة، أو في أَلْعَابِ القُوَى كالقفز والجري وحمل الأثقال، أو في المصارعة وألعاب الجمباز والكاراتيه ... وغير ذلك من المهارات والرياضات.

ثم ماذا بعدأن يغادر أحد هؤلاء هذه الحياة الفانية، ويترك كل ذلك وراءه ظِهريا، وينتقل إلى الدار الآخرة الباقية، عبداً فرداً فقيراً مُجرداً من كل شيء؟!

ما قيمة تلك الألقاب والأوسمة والنياشين، وكؤوس البطولة والنجومية؟

ماذا بقي له من تلك الأضواء والوقوف أمام العدسات، وتصفيق الجماهير، وغير ذلك من الأمور التي جعلها غايته وَكَرَّس لها حياته؟

أما إذا كان قد استغل ذلك للظلم والإختلاس والعبث، وإلهاء الشباب وإفساد الأخلاق وهدم القيم، فإنها الخسارة التي ما بعدها خسارة.

وفلان من الناس يقضي أكثر يومه وليلته في المقيل، أو في المقهى، وآخر في النادي أو الملعب، وثالث يدور في الأسواق يبحث عن آخر الموديلات والموضات، وآخر...وهكذا.

فما غاية كل واحد من همومه، ومطامعه، ومخاوفه؟ وما هي الحصيلة التي يرجوها كل واحد منهم؟

وما هو الربح الذي يرجوه، والخسارة التي يخشاها؟

ونقول لكل واحد منهم ما هي الثمار التي حَصَدَّتَهَا من تلك المجهودات؟

هل هي لك أم عليك؟

لا بأس أن تمارس الرياضة، ولكن اجعل ذلك وسيلة لخدمة الحكمة والغاية التى خُلِقْتَ لها، ولتمثل الرياضي المسلم أحسن تمثيل، فتنشر الخير والنور فيمن حولك، وتخدم وتعمل لغايتك، في بيئتك ومحيطك.

وكذلك يفعل التاجر، والطبيب، والمهندس، والأديب... الخ.

أَجْـمَلُ شيء في الدنيا أن يكون لك غاية.

أنظر ماذا تريد؟

تأمل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تزول قدما عبد، حتى يُسْأل عن أربع، عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)[1].

وقوله صلوات الله وسلامه عليه: (لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس، عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم)[2].

مَنْ يرضى لنفسه أن يكون غثاء، أو مع الغثاء الذين يَنْجَرُّوْنَ وراء الغايات التَّائهة، وأصبحوا ضحايا للرايات الجوفاء الخادعة، الذين جهلوا غايتهم ورايتهم التي خُلِقُوا من أجلها، والتي عاش لها وجاهد في سبيلها أجيال المسلمين الأُوَل، وعلى مَدَى أكثر من ألف عام من الزمن.

---

[1] الترمذي، عن أبي برزه رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع والصحيحة للألباني.

[2] الترمذي، عن ابن مسعود رضي عنه، وهو في الصحيحة للألباني.

فإن كنت لا ترضى لنفسك أن تكون في ذلك القطيع التَّائهِ، فَشَـمِّرْ معنا في هذه الرحلة، مع هذه المعاني الكبيرة التي تَضَمَّنَهَا هـذا الكتـاب، نفعني الله وإياك.

المدخل:

الحمــد لله رب العــالمين، اللهــم إيــاك نعبــد وإيــاك نســتعين، صَلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد النبي الأُمّي الطَّاهر الزَّكِي، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعـــــد:

فإن لكل شيء خلقه الله في هذا الوجود غاية وَحِكْمَة، سواء كان جماداً أو حيواناً أو نباتاً، صغيراً أو كبيراً، عظيماً أو حقيراً، يقول الله عزوجل: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠: ١٩١] سبحانك ربي جَلَّ جلالك، ما خلقت شيئاً في هذه الدنيا باطلاً ولا عبثاً، فأنت المتصف بكل صفات الكمال، والـمُنَزَّه عن كل صفات النُّقْصَان.

ومـن المعلـوم أن العَبَـثَ صـفة نقـص، لا تليـق بالإنسـان العاقل السَّوِي.

ولو أن إنساناً عمل عملاً لغير غاية وحكمة، وعلى غير هُدىً وبصيرة، فإنه عَابِثٌ بعقله ومروءته، فإذا كان هذا في حق المخلوق الضعيف الناقص، فما بالك بالخالق سبحانه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلاً سُبْحَٰنَكَ﴾.

فما من مخلوق خلقه الله سبحانه إلا وله حكمة وغاية، فما بالك بالإنسان الكائن العاقل الذي هو أكرم مخلوق.

وإذا كان الناس يختلفون في الغايات، كما هو حالهم وواقعهم فإنما ذلك بسبب اختلاف تصوراتهم وعقائدهم.

وهذه الحكمة والغاية لا يحددها المخلوق لنفسه، وإنما يحددها الخالق سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

ومن الأمثلة على ذلك :

١) الجمادات:

كالأرض وجبالها وبحارها، والسماوات وكواكبها وأفلاكها، ما خلق الله كل ذلك إلا لحكمة وغاية، وقد بَيَّن الله الحكمة من خلقها، فقال سبحانه: ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ [الرحمن:١٠]: ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [النبأ:٧]: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء:١٢].

وإلى أين تنتهي؟

قال تعالى:﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾[الانشقاق:٣،٤]

وقال سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ [طه:١٠٥]

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ [الانفطار:٣] ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم:٤٨].

٢) الحيوانات:

ما الغاية مِنْ خلقها؟

لقد خلقها الله لحكم كثيرة، من أبرزها خدمة الإنسان، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النحل:٥: ٨]

وإلى أين ينتهي أمرها؟ يحشرها الله، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير:٥] ، فَيَفْصِلُ فيما كان بينها، ثم يقول لها: كوني تراباً، وكما قال سبحانه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[الأنعام:٣٨]

ويـدخل في عـالم الحيـوان الطيـور، وكـذلك الحشرـات، وهـي عـالم عجيب، من يتأمل في أحوالها يجد في خلق الله لها حِكَماً لا تُعَدُّ ولا تُحصى، ومن تلك الحكم ما هو معلوم للإنسان، ومنها ما هو غير معلوم له.

٣) **النباتات :** بأشكالها وأنواعها المختلفة، سخرها الله للإنسان، قال سبحانه: ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ۝٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾ [عبس: ٢٧: ٣٢].

وقال سبحانه: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:١١].

وقلا جل في علاه: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [الرعد:٤].

فالنباتات منافعها كثيرة، فمنها ما جعل الله منه الزينة، ومنها الروائح الطيبه، ومنها المناظر الجماليه، ومنها الظِّلال، ومنها الأدوية، ومنها الملبوسات، ومنها الثمار والفواكه والحبوب.

وأما نهايتها فإلى الزوال، قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ ﴾ [النحل:٩٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الحاقة:١٤].

٤) **المياه:** ما الغاية مِنْ خلقها؟ البحار – الأنهار – العيون – مياه الأمطار، كلها خلقها الله لحكمة وغاية، وكلها تخدم الإنسان، وعليها أيضاً يتغذى الحيوان والنبات، قال الله عزوجل: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء:٣٠]: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [الحجر:٢٢]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:١٤]: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ [إبراهيم:٣٢].

وإذاً فقد خلق الله كل ما في هذا الوجود من سمواته وأرضه وَبَرِّه وبحره، لغاية وحكمة، من أبرزها خدمة هذا الإنسان.

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

فتأمل في الإنسان؛ فإنه ما خلق الله فيه عضواً ولا جارحة، ولا عَصَباً ولا شعراً ولا بَشَراً إلا لحكمة، ومثالاً على ذلك؛ خلق الله له العينين ليرى، والأذنين ليسمع، والأنف ليشم، واللسان ليتكلم، والفم ليأكل، واليدين ليعمل، والرجلين ليمشي-، وهكذا كل عضو فيه له وظيفة وغاية.

وكله ومجموعه لماذا؟ وما هي غايته؟

تَأَمَّل: أنشأ الله السَّحاب وخلق الرياح لتسوقها، وَكَوَّن منها مياه الأمطار، وأنزله غيثاً ليحيي به الأرض، وينبت به الزرع والنبات، وسخر كل ذلك للإنسان.

والإنسان خلقه لماذا؟ ما الحكمة مِنْ خلقه وما هي غايته؟

هل خلقه الله عبثاً؟ هل الإنسان أَقَلُّ شأناً من قطرة ماء، أو نبتة أو شجرة في فَلَاةٍ؟

هل هو أقل نفعاً من النَّحْلة أو دودة القَزّ، أو عالم النمل، أو غنمة أو دجاجة؟ حاشا الإنسان العاقل أن يكون كذلك.

وتعالى الله سبحانه عن الْعَبَثِ، وهو الذي خلق الإنسان وكرمه وسخر له كل ما خلق، قال سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون:١١٥: ١١٦]، وقال سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة:٣٦].

إذاً فما هي تلك الحكمة؟ وما الغاية التي خلق الله الإنسان لأجلها؟

قبل الإجابة على هذا السؤال، ينبغي الإجابة على سؤال آخر هو:

ما هي الغاية؟ وما تعريفها لُغَةً واصطلاحاً؟

الغـــايـــة:

معناها - أهميتها - أنواعها - عواقبها - ثمارها.

أولا: معنـاهـا لغة واصطلاحاً:

الغاية في اللغة: «مُنْتَهَى الشيء».

يقال: غاية الشيء: مُنتهاه.

قال في القاموس: الغاية: الْـمَدَى والرَّاية[1].

وقال ابن فارس: الغاية: مَدَى كل شيء[2].

وقال الجرجاني في التعريفات: الغاية: ما لأجله وُجِدَ الشيء.

وفي الاصطلاح: الغاية: هي التي ليس بعدها بعد.

والغاية هي: طلب النفس لما هو خير من الواقع.

و هي أيضاً: ما تستوي فيها الحقائق المتعددة.

---

[1] قاموس المحيط.

[2] مجمل اللغة.

وإليك الأمثلة لكل ما سبق:

لو سألنا شخصاً يبني بيتاً، كيف ستبنيه، وبم ستبدأ؟

لقال: أبدأ بالأساس.

ولو قلنا له: ثم ماذا؟

لقال: ثم البناء حتى السَّقْف، ثم التَّلْيوس، ثم الطِّلاء، ثم التشطيبات.

ثم ماذا؟

سيقول: ثم التأثيث والفرش.

ثم ماذا بعد ذلك ؟

سيقول: ثم أسكن.

ولو قلنا له ثم ماذا بعد ذلك؟ ربما غضب وقال: لقد قلت لكم أسكن.

لماذا غضب؟ لأنه ليس بعد ذلك بعد.

فالغاية من بناء البيت، هي السكن.

والغاية: هي طلب النفس لما هو خير من الواقع .

ومثالاً على ذلك: لو سألنا الطالب المبتدئ.

كيف ستدرس؟

لقال:أدرس الابتدائية.

ولو قلنا له: ثم ماذا؟

لقال: أتخرج من الإعدادي،ثم الثانوي.

فإن قلنا له: ثم ماذا بعد ذلك؟ سَلْسِلْ لنا الغاية؟

نجد أنه سيصل إلى ما لا نهاية، لأن طلب العلم ليس له نهايـة، ولا بد من غاية ليس بعدها بعد، وهي: طلب النفس لما هو خير من الواقع.

وكذلك لو سألنا التاجر، والمزارع، والطبيب، والمهندس ... الخ.

وقلنا لكل شخص منهم: ثم ماذا ؟

ستستمر إجاباتهم إلى ما لا نهاية.

فـإذا كـان كـل صـنف مـنهم لا يـؤمن إلا بالـدنيا، فهـي غايتـه، وإذا كان مؤمناً باليوم الآخر، فذلك اليوم الذي لم يأتِ بعد.

الغـايـة والـوسيلـة.

ولا بد لكل غاية من وسيلة، فالغايات لا تتحقق إلا بالوسائل، ولا بد أن تكون الوسائل من جنس الغايات، فالغاية لا تبرر الوسيلة.

فطلب العلم مثلاً، ليس غاية في حد ذاته، وإنما هو وسيلة لتحقيق غاية أخرى- وهي طلب رضوان الله وجنته- وهي التي ليس بعدها بعد، فنفس المؤمن تطمح دائماً لما هو خير من واقعها.

والغاية هي: «التي تستوي فيها الحقائق المتعددة».

- فليست الغاية في الصحة، لأن في الناس أمراض.
- وليست الغاية في الغنى والثَّراء، لأن في الناس فقراء.
- وليست الغاية في المنصب والجاه، فليس كل الناس أمراء وأصحاب جاه.

والإنسان متعدد الأطوار، والناس ليسوا على حال واحدة وطور واحد، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:١٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل:٤].

فالإنسان تتبدل أحواله وتتغير أوضاعه، مِنْ فقر إلى غنى، ومن غنى إلى فقر، ومن ضعف إلى قوة، ومن قوة إلى ضعف، ومن صحة إلى مرض، ومن مرض إلى صحة، وهكذا في سائر أحواله.

فإذاً لا بد أن تَنْصَبَّ كل الأعمال والأحوال والأطوار في غاية واحدة.

ولذلك فالنعيم في الدنيا أياً كان نوعه وحجمه، قد يفوتني أو أفوته.

يفوتني بالزوال والحرمان، أو أفوته بالعجز والضعف، أوالفراق والموت.

أما النعيم في الآخرة، فلا يفوتني ولا أفوته، لا يفوتني بالمنع والحرمان، ولا بالزوال والانقطاع، ولا أفوته بالعجز والضعف، ولابالموت والفراق، لأن نعيم الآخرة خاص بالمؤمنين، ولن يشاركهم فيه غيرهم، وهو لهم دائم ومؤبد، قال جل وعلا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

ٱلدُّنۡيَا ﴾ تأمل بقية الآية: ﴿ خَالِصَةً يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٢] ، وقال سبحانه في النعيم الخالد: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد:٣٥] : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ ﴾ [الأحزاب:٦٥].

والإنسان بطبيعته لا يصلح للدنيا على الدوام، فإنه إذا طال عمره ستنتهي صلاحيته حين يَهْرَم ويَعْجَز، وحين يفقد حواسه ولا يعقل شيئاً، لأنه مع الْكِبَرِ وَالْهَرَمِ يموت تدريجياً، وإن كانت مُسَمَّيَات الدنيا باسمه، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴾ [النحل:٧٠] .

والغاية عند أهل الإيمان، هي الهدف النهائي والأكبر، وهي التي تُتَّخَذُ لها كل النيات والأقوال والأفعال وتنتهي عند الله عزوجل: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم:٤٢].

«إن الله تعالى قد أراد بنا شيئاً، وأراد منا شيئاً، فما أراده بنا طواه عنا، وما أراده منا أظهره لنا، فما بالنا نشتغل بما أرداه بنا عما أرداه منا»[1].

---

[1] قالها الإمام الصادق- العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن/ للإمام محمد أبو زهره

« إن الله أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، وكلف تيسيراً، ولم يُعصَ مغلوباً، ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثاً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[ص:٢٧] »[1]

[1] قالها الإمام علي رضي الله عنه، أنظر المرجع السابق.

ثانياً: الغـايـة: أهميتهـا.

تُعْرَف أهمية الغاية، من خلال مضمونها، حيث أنها تُـمَـثِّل جواباً على استفسارات وأسئلة ثلاثة هي في غاية الأهمية:

أ) من أين؟ وإلى أين ؟ ولماذا؟

لأن مـن لم يعـرف غايتـه لا يعـرف نفسـه، ولا حقيقتـه وقيمتـه، ولا يعرف موقعه من الحياة، يدخل إلى الدنيا أعمى، ويخرج منها أعمى.

قـال تعـالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر:١٩] ، وقـال سـبحانه فـيهم: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ﴾ [التوبة:٦٧] ، وقـال سـبحانه: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء:٧٢].

وكـما قـال عُبَيْـد بـن حَسَـنَة: « الضَّـلال الحقيقـي: غِيَـابُ الهـدف» قال الله عزوجل: ﴿ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الجمعة:٢].

وإذا جهل الإنسان غايته وهدفه، وافتقد الإيمان، صار كما نَعَتَهُ القرآن، بكل صفات الذَّمِّ والتحقير، وإليك بعضها:

- **مذموماً مدحورا:** ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء:١٨].
- **وظلوماً جهولا:** ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب:٧٢].
- **وكنودا:** ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات:٦].
- **وهلوعاً جزوعاً منوعاً:** ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج:١٩: ٢١].
- **وفاجراً كفورا:** ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم:٣٤] : ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة:٥]: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾[عبس:١٧].
- **وخصيماً مجادلاً:** ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:٤] : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً ﴾[الكهف:٥٤].

بل إن الله تعالى وصف من لم يعرف غايته، بأنه شر الدَّوَاب على الإطلاق، بل أحقر من الدُّوْد الْمُتَوَلِّد في مخلفات الإنسان والدواب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال:٢٢] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنْ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩]، وقال عزوجل: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١].

والغاية: حقيقتها وتحديدها من المواضيع الذي خاض فيها كبار الفلاسفة والجاحدون من الزنادقة، وخبطوا فيها خبط عَشْوَاء، حتى أن بعضهم وصل إلى مُنْتَهَى الْحَيْرَة والإضطراب.

فهذا أحد الفلاسفة يقول: «أفنيت عمري وأنا أفكر لِأَيِّ شيء أعيش» حتى ضاق به الحال، فخرج ذات يوم من بيته، ورأى عاملاً يُكَسِّر أحجاراً فسأله: لِمَ تُكَسِّر الأحجار؟

فقال: لأكسب المال.

فسأله: وَلِـمَ تكسب المال؟

قال: لكي آكل أنا وأولادي.

فسأله: ولم تأكل أنت وأولادك؟

قال: لكي أعيش.

فسأله: ولم تعيش؟

فقال: لأكسر الأحجار.

فأعاد السؤال:

ولم تكسر الأحجار؟ ... فأعاد الإجابات نفسها... .

دَوَّامَة عمياء.

فليس الأكل والشرب غاية.

وَمَرَّ أحد الفلاسفة على رجل يقود الثور، لينزع به الماء من البئر.

فسأله: لماذا تقود الثور؟

قال: لأنزع به الماء.

فسأله: ولماذا؟

قال: لأسقى الْقَضْبَ والْعَلَف.

فسأله: ولماذا؟

قال: ليأكله الثور.

فسأله: لماذا؟

قال: لأنزع به الماء ... وهكذا دَوَّامَةٌ عمياء، أيضاً.

وهذا أحد الملاحدة احتار وَضَلَّ في معرفة سر وجوده والغاية من خلقه، وقد عَبَّرَ عن هذه الحالة المظلمة بقوله:

جئت لا أعرف من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرت قُدَّامِي طريقاً فمشيت

وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت كيف أبصرت طريقي

لست أدري ولماذا لست أدري ؟ لست أدري ...

عبـارات كلهـا تنضـح بـالحيرة والتَخَـبُّطِ والضـلال، ولـذلك فـلا عجب أن يصل الأمر بهذا وأمثاله مـن الحـائرين التَّـائهين، إلى الـتخلص من واقع حياتهم بالإنتحار.

وبناءً على هذا فلو سألنا نماذج من الناس عن غايتهم من وظـائفهم وأعمالهم وآمالهم وطموحاتهم؟

هل هي الغاية التي خلقهم الله لها، أم أن لهم غايات أخـرى مخالفـة لها أو بعيدة عنها ؟!

فمثلاً: لو سألنا الطالب:

لماذا تدرس، وما الغاية من دراستك؟

لأجاب:لأحصل على الشهادة.

ولماذا تحصل على الشهادة؟

من أجل الوظيفة.

ولماذا الوظيفة؟

لأحصل على مرتب.

ولماذا المرتب؟

لأعيش ولأوفر من المرتبات، وأجمع من المال أقصى ما أستطيع، وأَتَرَقَّى في درجات الوظيفة، ووو ...

ولماذا كُلُّ هذا؟! سنجد أنه يدور في نفس الدَّوَّامَة.

وسيجعل حُبَّه وبُغْضَه، وسروره وَحُزْنَه، وولاءه وعداءه، مبنياً على هذه الهموم والآمال، التي ليست لها غاية تنتهي إليها.

وسيبقى هذا الـهَمُّ والأمر، يسوقه حتى يعجز عنه، أو يُفَاجأ بالمغادرة والرحيل من الدنيا - بالموت- .

وهكذا لو سألنا المهندس أيضاً، وهو في طريق التخصص.

لماذا تتعلم الهندسة، وما الغاية منها، وما الهدف؟

لأجاب: أريد حِرْفَةً ووظيفة ذات عائد، ومردود مادي كبير.

ولماذا؟

لأشتهر في الهندسة.

لماذا ؟

لأجمع المال وأشتهر أكثر.

لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ ... سيتكرر الجواب: «دَوَّامَة ليس لها غاية».

لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ ... سيتكرر الجواب «دَوَّامة ليس لها نهاية».

ولو سألنا الطبيب ... ولو سألنا الفلاح ... ولـو سـألنا التـاجر ... وكـذا الجنـدي... وكـذا الصـانع... والبَـنَّاء و الرسـام ووو ... الـخ، سيتكرر نفس الجواب: دَوَّامة عند الجميع ليس لها نهاية.

وغالباً ما تكون الدوافع عند كثير من هؤلاء، هي الغرائز وشهوات الـنفس، وَحُـبُّ المـال والتَّسَـلُط، والرغبـة في التوسـع في الملـذات، والتنـافس و السـباق في الماديـات، وليسـت دوافـع الغايـة التـي لأجلهـا خلقهم الله سبحانه.

فالناس تختلف غاياتهم باختلاف تصوراتهم وعقائدهم، فمنهم من غايته تُـحَلِّق حـول الجنـة والعـرش، وآخر غايته تَـحُـوْمُ حول التَّتَن والْـحَشّ، ومِنْ هنا كان لزاماً علينا، أن نُـبَـيِّن الغاية التي لأجلها خُلِقْنَا.

والـذي يحـدد النهايـة لكـل غايـة، هـي المفـاهيم والتصـورات الإعتقاديـة التـي لـدى كـل إنسـان، والتـي تحكـم نظرتـه إلى النـاس، والحياة والكون، وعلاقة كل ذلك بالخالق سبحانه.

ولأهمية الغاية نجد أن الله سبحانه يُنْكِر على من ضَلَّ هدفه وجهل غايتـه، فيقـول : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥] ، وقال سـبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء:١٦]، وقـال سـبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

وبالمقابل فإن الله تعالى مدح وأثنى على الذين جَدُّوا واجتهدوا في استخدام عقولهم لمعرفه غايتهم.

فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩٠،١٩١].

ولله تعالى الفضل والمنة في هدايته لخلقه، لذلك أمرنا أن نسبح بحمده على ذلك فقال سبحانه: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى:١: ٣].

وقال سبحانه فيما حكاه عن موسى عليه الصلاة والسلام في رده على فرعون: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[طه:٤٩، ٥٠].

والله سبحانه لم يترك الإنسان بغير هداية، بل هداه لوظيفته وغايته، وَيَسَّرَه لذلك، وهو العليم الخبير بخلقه، ولذلك فإن أول ما أنزل من كتابه: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[العلق:١]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[البلد:٨: ١٠].

ب) للإنسان نظامان: عام وخاص.

وقد جعل الله للإنسان نظامين: عام بنظام الكون، وخاص بحق الإختيار، فهو مرتبط بالكون كله في النظام الإلهي العام، قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ [الشمس: ١: ٦]، فالإنسان مرتبط بهذه الآيات الكونية كلها، **وهذا في النظام العام.**

وَمَيَّزَه بنظام خاص، وهو حق الاختيار، وذلك في الآيات التي بعدها: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس:٧: ١٠].

ومثل ذلك في النظام العام، قوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل:١: ٤].

وكذلك في النظام الخاص، وهو حق الاختيار، قال في الآيات التي تليها: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴾ [الليل ٥:٩].

و الكون كله خاضع لله مستسلم ساجد له، بما في ذلك الإنسان **بنظامه العام،** فتدبر هذه الآية، قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ﴾.

وَمَنْ مَعَ هَذا التَّيَّار الساجد: ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ ﴾ أي الذين انضموا مع الكائنات الساجدة في النظام العام والخاص، يسجدون لله سبحانه، مختارين منقادين، بما خصهم به بنظام التخيير،ثم قال سبحانه: ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ ﴾ أي الذين تمردوا على الله عزوجل، وخالفوا شريعة الله باختيارهم طريق الضلال، فَحُرِمُوا التكريم، ووقعوا في الهوان، ونالوا الحرمان كما قال سبحانه في آخر الآية: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾[الحج:١٨].

وقال صلوات الله عليه وسلامه: (مَا تَسْتَقِلُّ[1] الشمس فيبقى شيء من خلق الله، إلا سَبَّحَ الله بحمده، إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم)[1].

---

[1] أي: ترتفع وتعلوا.

ج) المميزات التي خص الله بها الإنسان.

والله تعالى خَصَّ هذا الإنسان، وأَعَدَّه إعداداً يتناسب مع غايته، فخصه بمميزات.

خلقه في أحسن تقويم، علمه النطق والبيان، أكرمه بالعلم والكتابة وأعطاه أدوات التعلم، وكرمه وخصه بطيب الرزق، وسخر له ما في السموات والأرض، ومنحه الحرية وحق الإختيار.

وإليك بيان وتفصيل ذلك:

١) خَلَقَهُ في أحسن تقويم:

فلم يجعله مُنْحَنِي الظَّهْر، أو يمشى على أربع، بل جعله مستقيماً، يمشي على رجلين، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:٤] وخاطبه بقوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٧،٨]، وقال فيه: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة:٩].

[1] ابن السني، والحلية لأبي نعيم عن عمر ابن عبسه رضي الله عنه، وهو في الصحيحة للألباني.

٢) عَلَّمَه النُّطْق والبيان وأكرمه بالعلم والكتابة:

والدواب كلها لا تنطق ولا تُبِيْن بخلاف الإنسان الذي قال الله تعالى عنه: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ [الرحمن:٣،٤] وقال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ : ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق:٣،٥].

٣) كَرَّمَهُ وَفَضَّلَهُ وَخَصَّهُ بطيب الرزق:

فجعله محمولاً وراكباً لا حاملاً لغيره، وخصه بالطيبات من الرزق، فهو يأكل اللُّبْ، والْقِشَر للدواب، ويأكل الحبوب، والتِّبْن والقَصَب للدواب، تأمل قول الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ [الإسراء:٧٠].

٤) سخر له ما في السموات والأرض، وأسبغ عليه النعم:

قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان:٢٠] : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة:٢٩]: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم:٣٢: ٣٤].

٥) مَنَحَهُ الحرية وحق الإختيار:

فقال سبحانه: ﴿ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[البلد:١٠]، وقال: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾[الشمس:٧، ٨]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[الإنسان:٣].

وجعـل مُـدَّةَ إعـداده قبـل تكليفـه بخمسـة عشر ـ (١٥) عامـاً، ثـم بعـد ذلـك كَلَّفَـه وأجـرى عليـه القلـم، بخـلاف سـائر الـدواب، فـأطول مـدة لإعـدادها وتربيتهـا لتـؤدي وظائفهـا لا تزيـد عـن سـنتين، وليس عليها ثواب ولا عقاب لأنه لا اختيار لها.

وهذا بعض ما خص الله به الإنسان .

وهنا لا بد من طرح السؤال التالي:

لماذا كل هذا الإعداد والتمييز والتخصيص؟وهل لـه مـن مقابـل؟ وما الذي يقابله؟

الجواب نعم ولا بد له من مقابل

وبقدر ما تُعْطَى تُطالب.

وهذا ما سيأتيك بيانه عند حديثنا عن الغاية

د) حياتنا على الأرض

حياتنا على الأرض ماذا تعني ؟

نلاحظ في هذه الحياة الدنيا، حياة وموتاً، ودخولاً وخروجاً، وفي كل لحظة نستقبل أناساً ونودع آخرين.

والمتأمل في أحوال الناس جميعاً، وهم يدخلون إلى الدنيا ويخرجون منها، يرى حياة متكررة، وموتاً متكرراً، ولا يستطيع أي إنسان مهما بلغ من العلم والقدرة، أن يعيش خارج هذه الأرض، فَرِزْقُهُ وعيشه، وحياته وموته، مرهون بِالنَّفَسِ والأكسجين، حتى لو غزا الفضاء وسكن كوكباً آخر، فلا بد له من الأكسجين، كما قال الله في ذلك: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف:٢٥].

وقال سبحانه: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه:٥٥]، وقال جل جلاله: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح:١٧، ١٨].

وكـــذا في قولـــه ســـبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات: ٢٥، ٢٦] أي: أحياءً على ظهرها وأمواتاً في بطنها.

وإذاً فحياتنا على الأرض ماذا تعني ولماذا؟

سيأتيك بيان هذا وتفصيله عند حديثنا عن الغاية، وبعد الإجابة عن الأسئلة الستة التالية:

هـ) أسئلـة ستـــة

أخي القارئ الكريم أجب بـ «**نعم**» **أو** «**لا**»

أولاً: هل خُلِقَ الإنسان ليأكل ويشرب؟

لا شك أنك ستجيب وبكل تأكيد: «**لا**».

فالدواب والأنعام تأكل وتشرب أضعاف أضعاف الإنسان.

ثانياً: هل الدنيا للإنسان وطن وسكن دائم ؟

ستجيب بكل تأكيد «**لا**».

فكل الناس مُرْتَحِلٌ وَمَيِّت، كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦] ويقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥] ويقول: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٣].

والناس في هذه الدنيا كركاب الطائرة، منهم من هو في الدرجة الأولى، ومنهم في الدرجة الثانية، وكلهم سينزل منها ويفارق مقعده، وهكذا هم على الأرض، يخرجون منها جميعاً رغم التفاوت بينهم في المستويات المادية.

ثالثاً: هل للإنسان كل ما يتمناه في الدنيا، وهل يحصل فيها على كل أطماعه وطموحاته؟

ستجيب و بلا شك: «**لا**».

لأن الله يقـــول: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ [النجم:٢٥،٢٦]، يعني ليس له في الدنيا كل ما يتمناه.

وصدق القائل: مَا كُلُّ ما يتمنى المرء يُدركه ... .

فالكـل يتمنـى أن يَصِـحَّ ولا يمـرض، ويَغْنَـى ولا يفقـر، ويَقْوَى ولا يَضْعُف، وَيَقْدِرُ ولا يعجز، والكل لا يريد أن يَشِيْبَ وَيَهْرَم، ولا أن يضيق ويحزن، ولا يريد أن يهلك ويموت، بل إنه مُعَرَّضٌ لكثير مما ذُكِرَ وسيخرج من الدنيا فقيراً كما دخل إليها فقيراً.

قال جل وعلا: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف:٢٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام:٩٤]: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم:٩٣].

وكما بدأ الإنسان من ضعف سينتهي إلى ضعف، تَأَمَّلْ هذه الآية: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم:٥٤].

بل إن الإنسان إذا طال عمره تنتهي صلاحيته، حيث يفقد كل قُـوَاه وقدراتـه: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس:٦٨]: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾[الحج:٥].

رابعاً: هل تكفي الدنيا كلها لشهوات وأطماع كل نفوس الناس، بل هل تكفي لأطماع نفس واحدة؟

ستجيب وبلا شك ولا ريب: «**لا**».

فهاهو الإنسان يلهث وراء الدنيا ويجري جَرْي الوحش لجمعها، والتكاثر منها، ورغم أنفه سيؤخذ منه كل ما جمع، وَيُحْمَل إلى المقابر، كما قال سبحانه فيمن شغله التكاثر حتى مات : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾[التكاثر:١، ٢] **قال بعدها**: ﴿ كَلَّا ﴾ **أي**: **أخطأتم**.

وقال سبحانه: ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر:١٩، ٢٠] **قال بعدها**: ﴿ كَلَّا ﴾ **أي**: **أخطأتم** .

وقال سبحانه: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾ [الهمزة:١: ٣] **قال بعدها**: ﴿ كَلَّآ ﴾ **أي**: **أخطأتم**.

ولنسأل أي إنسان في الأرض غنياً كان أو فقيراً:

هل انتهت أطماعك ومطالب نفسك؟

هل تَوَقَّفَ عندك الطموح والاستكثار من زينة الدنيا؟

سيكون الجواب بكل تأكيد: أن مطالبه في تزايد مستمر وأن نفسه لم تشبع.

ولو قلنا لأحد من الناس أطلب حاجياتك نُعْطِكَ، وبعد أن نُلَبِّيَ له حاجياته وَنُحَقِّق له مطالبه، سنجده يطمح في مطالب أُخرى، وهكذا لن يتوقف.

وصدق النبي صلوات الله عليه وسلامه، حيث يقول: (لو أن لابن آدم وادياً من ذهب، أَحَبَّ أن يكون له واديان، ولن يملأ فَاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب)[1].

---

[1] رواه البخاري ومسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي الحديث الآخر قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لو كان لابن آدم وادياً من مال، لابتغى إليه ثانياً، ولو كان له واديان، لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملاء جوف ابن آدم إلا التراب)[1].

ومثل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لو كان لابن آدم وادٍ من نَخْل، لتمنى مثله، ثم تمنى مثله، حتى يتمنى أَوْدِيَة، ولا يملاء جوف ابن آدم إلا التراب)[2].

أخي الكريم: لماذا لم تشبع نفس ابن آدم؟

لأن أطماع وآمال وطموحات نفسه لم تُخْلَق مع بدنه وجسمه في بطن أمه، وإنما خُلِقَتْ وَرُكِّبَتْ بعد خروجه من بطن أمه وأثناء نُمُوِّه، والله سبحانه خلق الجسد للدنيا وهيأ له رزقه فيها، وجعل أطماع نفسه ومشتهياتها للآخرة وَأَعَدَّ لها كلما تشتهيه فيها.

ولو عرضنا على أهل حَيٍّ، أو قرية، أو قبيلة، أن يختار كل واحد منهم مما هو موجود عندهم من الأموال والنِّعَمِ والأرزاق، فإننا سنجد

---

[1] البخاري، عن ابن الزبير، رضي الله عنهما.

[2] أحمد، وابن حبان، عن جابر رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع.

أن كل شخص سيختار أجمل وأكبر بيتٍ، وأغلى أرضٍ، وأكبر مزرعةٍ، وأجمل امرأة، وأضخم سيارة، وهذا بلا شك مستحيل أن يتحقق، فالكل يريد نفس الطلب، وبالتالي سيحدث الخلاف والنزاع، والكراهية والحسد، ثم الخصومة والعداوة، ثم الصِّرَاع والتَّطَاحُن، فتفسد الحياة، ولا تستقيم أحوال الناس كما هو حاصل في واقعنا الحالي، ولا يكاد يَسْلَم من هذا، إلا من قَنَعَت نفسُه، ورضى بما قَسَمَ الله له وقَدَّر، وَطَمِعَ فيما عند الله من الملك والنعيم الذي لا ينفد.

وتأمل في هذه الآية، الـمُفَصِّلَة لأطوار حياة الإنسان وأحواله وميوله، من الطفولة إلى الشباب، إلى الرجولة إلى الهرم والشيخوخة، قال سبحانه: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ﴾ [الحديد: ٢٠] **الطفولة**: ﴿وَلَهۡوٞ﴾ **الصِّبَا**: ﴿وَزِينَةٞ﴾ **الشباب**: ﴿وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ﴾ **الكهولة**: ﴿وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ **الهرم والشيخوخة**، وهذه المرحلة الأخيرةهي التي تجعل الإنسان الغافل عن حياته كل ما كبر سِنُّهُ كبرت أطماعه، وازداد حرصه على الدنيا بحجة جمع المال للأولاد.

قال صلى الله عليه وسلم: (يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل)[1].

ثم ضرب الله لكل هذا مثالاً فقال سبحانه: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ﴾ [الحديد:٢٠].

خامساً: هل الناس متساوون في الدنيا من حيث الأرزاق والصحة، والأمن والوجاهة والسلطان... الخ ؟

ستجيب بكل تأكيد: «**لا**».

قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾ [النحل:٧١]

وقال سبحانه: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف:٣٢]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[الأنعام:١٦٥].

---

[1] احمد، والبخاري ومسلم، عن أنس رضي الله عنه.

ففي كل أرض وبلد، ومدينة وقرية، يوجد فيها الفقير والغني، والضعيف والقوي، والصحيح والسقيم، والآمن والخائف، والمنتصر والمهزوم، والأمير والمأمور.

سادساً: هل الدنيا دار مثوبة وجزاء، ومقاضاة وإنصاف عادل متكامل؟

الجواب بلا شك ولا ريب: «**لا**».

فالدنيا فيها الظالم والمظلوم، وَالْمُعْتَدِي والمُعْتَدَى عليه، والسارق والمسروق، والنَّاهب والمنهوب، والمستكبر والْمُسْتَضْعَف، وحين لا يتحقق القضاء والفصل فيما بينهم، فموعد التقاضي والفصل ، في يوم الفصل والقضاء، أمام الله عزوجل، قال تعالى:﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾[الممتحنة:٣] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴾ [النباء:١٧] وقال سبحانه:﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة:١١٣]، وقال جل ذكره: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ [التغابن:٩] ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٦٩].

والجـزاء الأوفى إنـما هـو هنـاك: ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران:١٨٥] : ﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم:٤١].

إذاً فالـدنيا وسـيلة لا غايـة، والنـاس فيهـا كركـاب السـفينة، مهما توفرت لديهم وسائل الراحة، فلا بد أن يسأل عقلاؤهـم عـن اتجاه السفينة وغايتها.

وهـل يمكـن أو يُعْقَـل لإنسـان أن يركـب عـلى حمـاره أو سـيارته، ولا يتحرك بها من مكانه، فإذا سألناه إلى أين؟

قـال: لـيس إلى شيء، وإنـما أكـون هكـذا سـائر اليـوم، فإنه لا شك مجنون.

فالدنيا قنطرة عبور، ووسيلة سفر إلى نهاية المطاف، إلى الغاية، إلى الوطن الأم، الحياة الأبدية، قال تعالى: ﴿ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة:٤٨].

قـال صـلى الله عليـه وسـلم: (مَـنْ طلـب الـدنيا أَضَرَّ بـالآخرة، ومن طلب الآخرة أَضَرَّ بالدنيا، فَأَضِرُّوْا بالفاني للباقي)[1].

والنـاس جميعـاً وبـلا اسـتثناء في هـذه الـدنيا في كَـبَد وكَـدْح، وتعـب وَنَصَـب، يكـدحون ويكابـدون، ويعملـون وَيَـجْهَدُون، فالكـل يتكلم، والكل يُفَكِّرُ، والكل يأكل ويشرب، والكل يلبس، والكـل يحب ويبغض، ويعـادي ويـوالي، ويفـرح ويحزن، والكـل يحمـل همـوم الحيـاة، الزوجة، الولد، الأسرة، والكل ينام ويستيقظ، ويصبح ويمسى، والكـل يمرض أو يخشى المرض، والكل يخاف الفقر، ويخشى المفاجئات والفقـير يحمل هم المعيشة، والغني يحمل هم المال ويخاف النقص والبوار.

فالكـل يكـدح ويكابـد، فهـو منـذ الـولادة يكابـد الرضـاعة، ويكابد عند نمو أسنانه، وعند الإحْتِبَاء على يديه، وعنـد محاولـة القيـام والمشي- عـلى القـدمين، ثـم يكابـد ويكـدح في كـل مراحـل الطفولـة والصِّـبَا والشـباب والرجولـة، وإن قُـدِّرَ لـه طـول العمـر عـاد يكابـد ضعف الهرم والشيخوخة من جديد.

---

[1] ابن أبي عاصم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، هو في الصحيحة للألباني.

والكـل مسـافر ومـاضٍ إلى الله يمشي- نحـو أَوَّل محطـة ومنزلـة من منازل الآخرة – القبر- وهو أول نقطة للتفتيش، وتستمر الرحلة إلى أن يلقى الإنسان ربه، كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الإنشقاق:٦]، وفي قوله سبحانه: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد:٤].

ولكن، ما الغاية من كل ذلك، وما هي ثمار الكدح والتعب، وإلى أين سينتهي هذا الكبَد؟

الجواب في الآية التي بعدها: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴾ [الإنشقاق:٧: ٩]: فبعد الكدح والمكابدة، في العمل المبرور والسعي المشكور، سعادة وحبور وفرح وسرور.

﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [الإنشقاق:١٠: ١٢]، لماذا؟

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴾ فهو لم يَصِلْ دنياه بئآخرته، ولم يرجوا بعمله لقاء ربه، ولم يرهب ويرغب فيما عنده سبحانه، وما السبب؟ ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾[الإنشقاق:١٣: ١٥].

وفي الحديث قال صلى الله عليه وآله وسلم: (كل الناس يَغْدُوْ، فَبَائِعٌ نفسه، فَمُعْتِقُهَا أو موبقها)[1].

[1] مسلم، والترمذي، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

الناس في فهم الغاية صنفان هما:

« بصير مهتدٍ – وأعمى ضال »، قال سبحانه: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴾ [محمد:١٤].

وقال سبحانه: ﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشمس:٢٢] وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ ﴾ [الرعد:١٩]، والذي لم يهتد لغايته، واختار طريق الغواية والجهل، يُعَاقَبُ بالمعيشة الضنك في حياته، وبالعمى والعذاب حين يُحشر إلى ربه، قال سبحانه: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤].

وحين يصطدم الإنسان في الدنيا بِمُعَوِّقَات وموانع وعقبات، تمنعه من تحقيق آماله وطموحاته، يلجأ إلى التحايل والمخادعة، فإذا لم يُجْدِ، لجأ إلى الاعتداء والوحشية، والانتقام من الآخرين، فإذا عجز عن ذلك، رُبَّمَا لجأ إلى المخدرات أو الانتحار للهروب من أشباح الواقع المظلم المُضْنِي.

أخي هَمُّكَ من جنس ما أهمك، فإن كان همك غير طاعة الله وطلب مرضاته وخوف عقابه فهو العذاب، فأعظم جنود الله: **الْـهَمُّ**.

قال الإمام علي رضي الله عنه: «خلق الله الجبال وجعلها شديدة، وجعل الحديد أشد منها لأنه يكسرها، والنار أشد من الحديد لأنها تذيبه، والماء أشد من النار لأنه يطفئها، والهواء أشد من الماء لأنه يحمله[1]، وابن آدم أشد من الهواء لأنه يحتمي منه بثوبه، والْـهَمُّ أشد من ابن آدم لأنه يقتله».

فمن كان هَمُّهُ بعيداً عن الله، عاش حياة الضيق والحرج و الضَّنْك والقلق والإضطراب، كما قال سبحانه: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[الأنعام:١٢٥]: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[الحج:٣١].

---

[1] أي السحاب.

قصة السكران:

رجل سكران كان في منطقة بصنعاء تُسَمَّى باب اليمن، فركب مع صاحب موتور، وقال له: أوصلني إلى باب اليمن، فوقع صاحب الموتور في حيرة، فَشَغَّلَ الموتور، وأخذ يضغط على البنزين قدر خمس دقائق وهو في مكانه، ثم أطفأه وقال له: تفضل هذا باب اليمن، فنزل السكران، واعطاه الإيجار، ثم لطمه على رأسه، وقال له لا تسرع مثل هذه السرعة، كنا سنموت بسببك!!.

ثالثاً: أنـــواعـهـا

القسم الأول: الغـايات الـنَّكِـدَة:

وإليك أخي القارئ هذه النماذج من أصحاب الغايات الضَّالة الحقيرة، المنتهية بالحسرات والخيبة، والنَّدَم والخذلان، والإفلاس والخسران، ولننظر إلى مستوى التَّدَنِّي لأصحابها.

وقد يكون أصحابُ هذه الغايات العمياء، أصحاب مواهب وقُدُرَات وملكات، فمنهم الذكي والداهية، والشجاع والفصيح، وقوي الإرادة ... الخ، ولكنهم أخطأوا الطريق وأعرضوا عن الهدى فَضَلُّوا عن سواء السبيل، الموصل إلى الغاية السعيدة.

١) **فمن الناس من غايته المال والطموح في الثراء**: فتراه يسعى وَيَكِدَّ ويكدح، وَيَجِدَّ ويتعب ليجمع المال من كل مورد وبأي وسيلة، المهم أن يكون ثرياً، **وهذا الصنف من الناس نوجه له الأسئلة التالية:**

هل ستموت ثرياً؟

هل ستنزل القبر بأموالك؟

هل ستلقى الله وتُبْعَث بين يديه بشيء من دنياك؟ أليس أولادك هم أَوَّلُ مَنْ يسحب كل أموالك حتى ثيابك، فما بالك بغيرهم من الأرحام والأقارب.

أجب بإنصاف، واسمع قول الله تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر:١: ٣] أنكم أخطأتم وجهلتم غايتكم، واسمع أيها العبد الفقير الفرد إلى ما قاله الله فيك وفي كل بني آدم: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم:٩٣: ٩٥]، وإلى قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام:٩٤].

قال صلوات الله وسلامه عليه: (من كانت هَمَّهُ الدنيا فَرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتبه الله له)[1]

---

[1] ابن ماجه، عن زيد ابن ثابت رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع والصحيحة للألباني.

وهذا درس بليغ من الشهيد الزبيري.

زاره بعـض الطـلاب اليمنيـين في القـاهرة إلى غرفتـه المتواضـعة الْـمُطِلَّة عـلى النِّيـل، فـأخرجهم إلى البلكونـة، ليشـاهدوا مبـاني القـاهرة وعمارتها الشاهقة.

فقال لهم رحمه الله: كل ما ترونه يا أبنائي تَـبَعٌ لي وفي ملكي.

فقالوا له : يا أستاذ هذا كلام غير معقول.

فقال لهم: صدقوني يا أبنائي، أنا أمتلك كل ما في القاهرة.

فاحتاروا وقالوا: فَسِّر لنا ما تقول.

فقـال: يـا أبنـائي، لـو أن رجـلاً يمتلـك كـل مـا في القـاهرة؟ أين ترونه يَسْكُن؟! أفي كل مبانيها؟

قالوا: لا.

قال: أفي عمارة كاملة؟

قالوا: لا.

قال: أفي شقة كاملة، أم في غرفة واحدة؟

قالوا: بل يسكن في غرفة واحدة.

قال: وهل سيترك القاهرة فارغة من السكان؟ أم أنه سيستثمرها ويُسَكِّنُ الناس فيها؟!

قالوا: بل سيستثمرها وَيُسَكِّنُ الناس فيها

قال: وهل سيأكل كل ما يصل إليه من أموال؟ أم سيأكل قدر ما يملأ بطنه وقدر ما يحتاج إليه؟

قالوا: بل سيأكل ملء بطنه وقدر ما يحتاج إليه.

قال رحمه الله: فما الفرق بيني وبينه؟ وما المانع أن أقول: أن هذه القاهرة حَقِّي، وَتَبَعِي، وفي ملكي، وأنا أسكن هذه الغرفة، وعندي ما يشبع بطني والحمد لله؟

وهكذا يا أبنائي، فإن المسلم ينظر إلى الدنيا بهذا التَّصَوُّر، وبهذا الاعتقاد، ويؤمن بأن فراغ نفسه الكبيرة الطَّمُوْحَة الطَّمُوْحَة، لا يشبعها ولا يملأ فراغها إلا ما عند الله عزوجل.

قال صلى الله عليه وسلم: (من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة)[١].

وقال صلى الله عليه وسلم: (من جعل الهموم هَمَّاً واحداً، هم المعاد، كفاه الله سائر همومه، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ به الهموم من أحوال الدنيا لم يبالِ الله في أَيِّ أوديتها هلك)[٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله عزوجل: (أَعْدَدْتُّ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[السجدة:١٧])[٣].

فمن جعل المال مقياساً لأخلاقه ومعاملاته، فَاغْتَرَّ وَتَكَبَّر، ينبغي عليه أن يعلم أن الله ينكر عليه وعلى أمثاله هذا المقياس، وليسمع قول الله عزوجل: ﴿ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلاً وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ:٣٥]،

---

[١] الترمذي، عن أنس رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع والصحيحة للألباني.

[٢] ابن ماجه، عن ابن مسعود رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع.

[٣] البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فيرد الله عليهم : ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ:٣٧].

والنبي صلوات ربي وسلامه عليه، يُحَقِّر ويُصَغِّر من جعل المال غايته ويدعوا عليه بالتَّعَاسَة، فيقول: (تَعِسَ عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، إن أُعطي رضي وإن لم يُعْطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شِيْكَ فلا انتقش)[1] .

ولو عُمِّرَ الإنسان مائة سنة، فإن نسبةَ عمره إلى زمن يوم الحساب دقيقتان ونصف فقط، فهل يصح لعاقل أن يضيع النعيم الأبدي والحياة الخالدة السعيدة، بمتعة دقيقتين ونصف.

فيوم الحساب مقداره خمسون ألف سنة، كما قال سبحانه: ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴾[المعارج:٤].

---

[1] البخاري وسنن ابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع.

ويقـول الله جـل جلالـه في مقـدار اليـوم عنـده: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج:٤٧].

ويؤكد لك هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الفقـراء ألا أُبَشِّرُكُم؛ إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيـائهم بنصـف يـوم خمسمائة عام)[1].

٢) ومن الناس مَنْ غايته الجاه والمنصب والسلطان:

وإليه نوجه الأسئلة التالية:

هل سيدوم لك المنصب والجاه؟

وهل ستموت زعيماً أو ملكاً أو أميراً أو ... ؟

هل ستنزل قبرك سلطاناً أو ملكاً ؟

هل ستلقى الله عزوجل بمنصبك ورئاستك ؟

وهل سيرافقك الحاشية والجند؟

---

[1] ابن ماجه، عن ابن عمر رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع.

اسمع قول الله عزوجل: ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم:٩٥]؟

تأمل : ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام:٩٤].

أذكر يوم خرجت من بطن أمك إلى الدنيا، فقد وضعوك في قطعة قماش، وأثبتوك بخيط، أليس كذلك؟ وهكذا يوم تموت، يوم تخرج من الدنيا فإنهم أيضاً يضعوك في قطعة قماش « الكفن» وتُرْبَط بخيط.

ألم تسمع إلى قول الله عزوجل: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام:٩٤]، وسبحان القائل: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف:٢٩].

قال الحسن البصري رحمه الله: «لا يغرنك كثرة من ترى حولك!! فإنك تموت وحدك، وتُبْعَثُ وحدك، وتحاسب وحدك».

٣) ومن الناس مَنْ غايتـه وأمنيتـه الإكثـار مـن البنـاء والتوسـع في اكتساب الأرض، وحاله كمن يظن نفسه مُـخَـلَّداً:

وَمِثْلُ هذا نذكِّره أَوَّلاً بقول الله سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة:١: ٤] ونذكِّره بقول الله: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر:١٩: ٢١] وبقول الله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[المؤمنون:٥٧،٥٦].

ونوجه له ثانياً هذا السؤال: أَتَعْلَم كَم هو الزمن الحقيقي للمكوث في الحياة الدنيا؟

اسمع الجواب في قول الله سبحانه: ﴿قَلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون:١١٢،١١٣]،

وكـما في قولـه سـبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [يونس:٤٥].

: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف:٣٥].

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

والله لـو عـاش الْفَتَـى في دهـره ... ألفـاً مـن الأعـوام مَالِـكَ أَمْـرِهِ
مُتَـنَعِّماً فيهـا بكـل نفيسـة ... مُتَلَـذِّذاً فيهـا بِنُعْمَـى عَصْرِهِ
لَا يَعْتَرِيْـهِ السُّـقْمُ فيهـا مَـرَّةً ... كَـلَّا ولا تَـرِدُ الهمـوم بصـدره
مـا كـان ذلـك كلـه في أن يفـي ... بمبيـت أَوَّلِ ليلـةٍ في قـبره

الأيام خمسة:

يوم مفقود، ويوم مشهود، ويوم مورود،ويوم موعود، ويوم ممدود.

فالمفقود: هو أَمْسُكَ الذى لن يعود.

والمشهود: هو يومك الذي أنت فيه.

والمورود: هو غدك فأنت لا تدري، هل هو من أيام عمرك أم لا؟

والموعود: هو آخر أيامك من الدنيا.

والممدود: هو يوم الدين.

٤) **ومن الناس مَنْ غايته المرأة والخمرة، والأغنية والإنغماس** في الرذيلة، واللهو واللعب، قال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان:٦]: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنبياء:١: ٣].

وهذا الصِّنْفُ من الناس، قد يكون من أهل المواهب والملكات، ولكنه كما أسلفنا حَقَّرَ نفسه وسَفَّلها واتجه بها نحو غاية حقيرة.

فكم مِنْ بطل شجاع، ذبح شجاعته عند فرج امرأة بَغِيّ.

وكم من ذَكِيٍّ مُحَنَّك، دَمَّر نفسه، وحطَّم ذكاءه، وأضاع حياته في قارورة خمر.

وكم من عَالِمٍ بَلَغَ الذِّرْوَة في العلم، لكنه حُرِمَ رِفْعَةَ العلم وَفَضْلَه، بطمع في عَرَضٍ من الدنيا قليل: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [الأعراف:١٧٥، ١٧٦].

٥) **ومن الناس مَنْ غايته المأكل والمشـرب والملـبس،** وأنـواع الزينـة، إلى درجة الإسراف والتبذير، يأكل مِلْءَ بطنه ويضحك ملء فِيْه، غـافلاً عـن ذكـر الله، ناسـياً لقـاءه، كـما قـال الله عزوجـل: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجـر:٣] وقـال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤] .

وذكروا أن رجلاً أراد السفر على بعيره، فكان كلما أقامه ليسير عليه، انشغل البعير بأكل الْعَلَف، فقال في هذا :

هَمِّي وهَمُّ البعير اختلف هَمِّي المسير وهم البعير الْعَلَف

٦) **ومن الناس مَنْ غايته طلب الشهرة أيًّا كـان نوعهـا كالشـهرة في الرياضة،** والسباق والألعاب والمغامرات، والمخاطرة بـالنفس وغيرهـا، الْـمُهم عنـده تحقيـق الشُّـهرة والسُّـمْعة، ولـو مـن أوسـخ الطـرق وأتفـه الأبواب، حتى أن بعضهم يسابق في طول الأظفار وبشاعة الوجه.

ونرى بعض المجلات والصحف، تَذْكُرُ غايات وأمنيات بعض الفتيان والفتيات، حين يُسألون عن أمنياتهم وغاياتهم، فيقول بعضهم: هُوايتي وأُمنيتي جمع الطوابع والبريد.

وآخر يقول: المراسلات.

وآخر يقول: السباق والمصارعات.

وآخر يقول: الموسيقى والمعازف.

ومنهم من يقول: الأغاني والفن.

وآخر يقول: التمثيل والمسرح.

وغيره يقول: الفن التشكيلي وفنون الرسم.

فما هي الغايات والأهداف من وراء ذلك كله وهل هي تابعة وخادمة للغاية التي خلقهم الله لأجلها.

كم يتعب اللاعبون و اللاهون، والعابثون الراكضون وراء الشهوات، والأهواء والملاهي.

فهل لجهودهم وتضحياتهم من غاية، وثمرة مُربحة ومُشَرِّفَه.

وإليك هذا المَثَل:

أحد اللاعبين لكرة القدم، اشتهر حتى لُقِّب بصاحب الرِّجْل الذهبية، وفي إحدى المباريات أُصِيبت رجله بجرح أَدَّى إلى التسمم، فقرر الطبيب قطعها، فلما قُطِعَتْ عَزَّاه من يعرفه، ثم نسيه الناس، ولم يتحدث عنه بعد ذلك أحد، لأن غايته كانت في رجله التي قُطعت.

عواقب هذه الغايات ومصير أصحابها.

هؤلاء وأمثالهم أضاعوا أنفسهم، حيث جعلوا غايتهم من أجل الدنيا، وشهواتها الفانية، وصدق الله إذ يقول: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم:٧].

فلا وزن لحياتهم، لأن غايتهم هباء وسراب، ولهو ولعب، وتفاخر وتكاثر، منبوذ منقطع مبتور.

قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [محمد:٣٦]، :﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ [الإنسان:٢٧]: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣]: ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف:١٠٥]:

فقد تَنَكَّبُوا الطريق: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾ [المؤمنون:٧٤].

كما إنهم بائرون: ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفتح:١٢].

و يكاد يصدق عليهم قول الله: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف:١٠٣، ١٠٤]، وقد يكون هؤلاء ضحايا التقليد الأعمى لأصحاب الأهواء المضلين، أو للذين يزينون الباطل من رفقة السوء وصحبة الشر، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٣٧].

وقد خَيَّرَهُم الله بين الأعلى والأدنى، وبين الدائم والمنقطع، وبين خيري الدارين أو خسارتهما، فأساؤا الاختيار.

فأين غايةٌ من غاية؟ وأين هدفٌ من هدف؟ وأين مَقْصَدٌ من مقصد؟

شَتَّان ما بينهما، فَالْبَوْنُ شاسع: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء:١٩] : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى:٢٠]،

وقال سبحانه: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود:١٥].

عملوا كثيراً حتى تعبوا ونَصِبُوا لغير الله، وفي غير سبيله، فخسروا كثيراً، وحُرِمُوا كثيراً، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ أي: عملت كثيراً حتى تعبت وَكَلَّتْ، فكانت الحصيلة: ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية:٢: ٤].

ويظهر على وجوههم الكسوف والإكتئاب، والقترة والإغبرار، والظُّلْمَة والسَّوَاد، والْقُبح والإرهاق.

وليس لهم مقعد في ظل عرش الرحمن، ولا موضع قدم في مقام الكرامة: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾[الكهف:١٠٥].

وسيندمون، ويتمنون لو عملوا غير ما عملوا، وَقَدَّمُوا لحياتهم الحقيقية الأبدية، وسَخَّروا الدنيا للغاية السعيدة، كما قال سبحانه في شأن حسرتهم: ﴿ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ [الفجر:٢٤].

أمنيـات ومسـاومـات

فهاهي أمنياتهم يوم الحسرة، يوم يتوجهون بتقديم كل محبوباتهم التي كانت غايتهم في الدنيا، فِدَاءً لهم من النار، ويساومون في كل ذلك، فيقدمون أولادهم وأزواجهم، وإخوانهم وعشائرهم، فِدَاءً لأنفسهم لكي ينجوا من النار، كما قال عنهم سبحانه: ﴿ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ﴾ [المعارج:١٢: ١٥] ، ما الذي شغله وألهاه عن غايته، تأمل سياق الآيات: ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾ [المعارج:١٨]، فكانت غايته وَهَمُّه في الدنيا، جمع المال.

ويتمنون أن لو كان معهم ما جمعوه من المال، وأضعاف أضعافه، ليفتدوا به من العذاب: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر:٤٧].

وحتى لو وجدوا ذلك المال ما نفعهم، فقد فاتتهم الفرصة وخسروا أنفسهم وأهليهم، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥].

فيتعاملون مع ما حَلَّ بهم من العذاب، بعكس ما كانوا عليه في الدنيا، حيث كانوا يدفعون الشر والخطر عن أنفسهم بفدية أصغر وأقلَّ ثمناً، وأما في الآخرة فهاهم يُقدِّمون فداء لهم من النار أغلى شيء عندهم: «الأولاد، الزوجة، الأقارب، العشيرة».

وبعد زجرهم وردعهم برفض فدائهم، يعلنون الإفلاس من كل ما أَمَّلُوا وركنوا إليه، ويتمنون أن لو كان لهم رجعة، فيعملون وينشغلون بالباقيات الصالحات، ولكن فاتت الفرصة، ولم يبق إلا الندم:﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٥:٢٩]،

ويسمعون هذا الزجر: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف:٤٨].

وهذه مواقف ومشاهد من الحسرة والندم والتمني العقيم، قال الله جَلَّ في علاه: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر:٣٧]، وكما قال سبحانه: ﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون:١٠] : ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ﴾ [المؤمنون:٩٩،١٠٠] **ويتمنون أمنية متواضعة،** شربة ماء، أو راحة يوم واحد بلا عذاب.

كما قال سبحانه: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:٥٠]، وقوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٩].

ولكن ليس إلا الندم والحسرة: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:٢٧]، لماذا يعض الظالم على يديه؟ ولماذا كل هذه الحسرة والندامة؟

لأنهـم خَرَّبُـوا المسـتقبل عنـد الله، والغايـة السـعيدة الخالـدة، بتعمير دنياهم الفانية التعيسة، على غير هدىً من الله ورسوله.

• **ثـم يـُحَال بيـنهم وبيـنما يشـتهون:** ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبأ:٥٤].

• **وَيُحْجَبُون ويُـحْرَمُون مـن بُشْرَى الملائكـة:** ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان:٢٢].

• **ويُـحَرَّمُ علـيهم الـرزق والمـاء:** ﴿ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:٥٠].

• **ويطلبون النور فلا يجدوه:** ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد:١٣].

• **ويتمنـون السـجود فـلا يسـتطيعون:** ﴿ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾ [القلم:٤٢].

إذاً فما المخرج من هذه الغايات النكدة وثمارها وعواقبها الوخيمة، وما السبيل إلى السعادة والحياة الطيبة الكريمة في الدنيا والآخرة، إنه وبلا شك معرفة الغاية والالتزام والسَّيْر في منهجها التي خُلِقْنَا لأجلها.

فما هي غايتنا ومن الذي يحددها؟!

القسم الثاني: الغـايـة الْعُظْمَى:
عبادة الله

الغاية العظمى التي خلق الله الناس جميعاً لأجلها هي: **العبادة**.

والـذي حـددها وَبَيَّنَـهَا؛ هـو الله سـبحانه خـالق الإنسـان وخـالق الكـون والكائنـات، كـما قـال جـل في عـلاه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات:٥٦].

وقال جل جلالـه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة:٢١].

وفي كل ركعة نعلن العبودية له سبحانه: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾.

وهذه العبادة تقوم في حياة المسلم على أسس ثلاثه:

الله غايته.

الرسول قدوته.

اليوم الآخر مَصَبُّ أعماله وحصاد زرعه.

وهـذه العبـادة تتمثـل في حمـل الأمانـة والقيـام بواجـب الاستخلاف في الأرض كـما أراد الله سبحانه، وذلـك كلـه لا يتحقـق إلا بالابتلاء والامتحان.

وهذا ما خلق الله الإنسان لأجله وَفَطَرَهُ عليه، ليعبده بإقامة دينه، قال سبحانة: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الروم:٣٠]، وسيأتي بيان هذا في موضعه.

العبادة: معناها:

العبادة في اللغة: الخضوع والتذلل والإنكسار.

والعبادة تشمل كلِ حياة الإنسان، ومختلف أنشطته وأعماله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « العبادة هي: كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والمعتقدات ».

وَلِصِحَّتِهَا وقبولها شرطان إثنان وهما: الصواب والإخلاص، وهما المذكوران في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[الملك:٢].

قال ابن عباس رضي الله عنه : أَحْسَنُ العمل أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ.

فالإخلاص: ما كان خالصاً لوجه الله سبحانه.
وَالصَّوَابُ: ما كان موافقاً لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فاللّه غـايتـه

أي: **معبوده الذي خلقـه لعبادتـه،** كـما قـال سـبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

فالمســلم يعبــد الله في كــل شيء، فمــن أجلــه يأخــذ ويعطــي، ويكسب وينفق، وفيه يحب ويبغض، ويوالي ويعادي، وله يفرح ويحزن، وفي طاعته يصبح ويمسى، ومن أجله يعيش ويحيا، وفي سبيله يموت، وهذا هو سر وجوده والحكمة مِنْ خلقه، فهو يعبد الله حتى يأتيه الموت، قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩].

فعبــادة الله تســتغرق كــل حيــاة المســلم، وتمــلأ كــل مســاحة عمره حتى الموت.

تأمل في قوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢].

ولتكون الحياة كلها محراباً يتعبد فيه الله بخطرة القلب وهمسة الفكر...بطلقة المدفع وسجدة الجبين...وكما كانت الصلاة عمود الدين، فالجهاد ذروة سنامه...وكما كانت الزكاة صدقة، فإن الكلمة الطيبة صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة...وظمأة في سبيل الله جهاد، وجوعة في سبيل الله جهاد، وسجن في سبيل الله جهاد، وقتل في سبيل الله جهاد: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[التوبة:١٢٠]

وهذه الغاية يذكرها المسلم، ويعاهد ربه عليها، ويجدد العهد بها في كل يوم قرابة ثلاثين مرة، وذلك في كل ركعة عند قراءته لسورة الحمد، وذلك في صلاته، لان الصلاة رمز العبادة وشعارها ورمز لغاية المسلم.

فتأمل مدلولاتها :

١) **فأنت تبدأ باسم الله:** ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، ثم تحمد الله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، ثم تثني عليه سبحانه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة:١ :٣].

٢) **ثم تُذَكِّر نفسك بيوم الدين والاستعداد له**، و تُمَجِّد الله المالك ليوم الدين فتقول: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾.

٣) **ثم تعاهد الله في كل ركعة** على إفراده بالعبودية، فتقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾.

٤) **وتستعين الله عليها فتقول**: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

٥) **وتطلبه الهداية، لتعرف منهج هذه الغاية وهو الدين**: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.

٦) **وتعلـن الـولاء للصـالحين أهـل الصـراط المسـتقيم،** مَـنْ أنعـم الله علـيهم مـن النبيـين والصـديقين والشـهداء والصـالحين: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

٧) **ثم تعلن براءتك ومقاطعتك ومفاصلتك،** لكـل مـن غضـب الله علـيهم: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾، ولكـل مـن ضـل عـن الحـق: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

استحضار النية الصالحة في جميع الأعمال والأحوال.

ولكي تتحقق للمسلم هذه الغاية؛ عليه أن يستحضر النية الصالحة ويقصد من سلوكياته وأنشطته وسائر أعماله الظاهرة والباطنة عبادة ربه والفوز بجنته، والنجاة من ناره.

ومن ذلك أن يحتسب المسلم الأجر عند الله في وظيفته ومهنته وفي كل أنشطته، فالتاجر في متجره، والطبيب في عيادته، والمعلم في مدرسته، والسائق في مركبه، وقائد الطائرة ومن يتبعه، والمقاول والبَنَّاء في عمله، والفلاح في مزرعته، وكذلك المهندس، والطباخ، والجندي، والصحفي، والمسئول والوالي، والوجيه ورب الأسرة، ... وغيرهم.

الكل يتخذ من عمله ووظيفته عبادة لله سبحانه، وطلباً لجنته، وخوفاً من ناره، ويبتغي به الثواب والأجور الآجلة الباقية الخالدة، وبذلك يتحقق للمسلم أعظم المصالح والمنافع في الدنيا والآخرة.

وعليك أخي القارئ الكريم، أن تعلم أن عدد مفاصل ابن آدم، ثلاثمائة وستون مفصلاً، وعلى كل مفصل منها صدقة وعبادة.

قال صلى الله عليه وسلم: (على كل نفس في كل يوم طلعت عليه الشمس، صدقة منه على نفسه، من أبواب الصدقة التكبير، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، واستغفر الله، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعزل الشوك عن طريق الناس، والعظم والحجر، وتهدي الأعمى، وَتُسْمِعُ الأصم والأبكم، حتى يفقه، وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها، وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث، وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف، كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك، ولك في جماعك زوجتك أجر)[1].

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: (تَبَسُّمُكَ في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الحجر والشَّوْك وَالْعَظْم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة)[2].

---

[1] أحمد، والنسائي، وابن حبان، عن أبي ذر رضي الله عنه، وهو في الصحيحة للألباني.

[2] الترمذي، والبخاري في الأدب المفرد، عن أبي ذر رضي الله عنه، وهو في الصحيحة للألباني.

وقال صلى الله عليه وسلم : (إنه خُلِقَ كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجراً عن طريق الناس، أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد ستين وثلاث مائة، فإنه يمشي يومئذٍ وقد زحزح نفسه عن النار)[١].

وقال صلى الله عليه وسلم: (على كل مسلم صدقة، قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير، قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر فإنها صدقة)[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: (كل معروف صدقة)[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: (كل معروف صنعته إلى غني أو فقير، فهو صدقة)[٤].

---

[١] مسلم.

[٢] البخاري، ومسلم، عن أبي موسى رضي الله عنه.

[٣] البخاري، عن جابر رضي الله عنه.

[٤] الطبراني، عن جابر رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع والصحيحة للألباني.

وعـن معـاذ بـن جبـل رضي الله عنـه: (إني لأحتسـب نـومتي كما أحتسب قومتي)[١].

وقال صلوات الله وسلامه عليه: (إن المسلم يُؤْجَرُ في كل شيء ينفقه، إلا في شيء يجعله في هذا التراب)[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها)[٣].

ومن تعاليم الإسلام العظيمة التي تدل على العبادة تشمل جميع الأعمال وجميع مجالات الحياة ما جاء في السنة النبوية حول شعب الإيمان، فالإيمان بضع وسبعون شُعْبَة، كما قال صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)[٤].

---

[١] مسلم.

[٢] البخاري، عن خباب رضي الله عنه.

[٣] مسلم، عن أنس رضي الله عنه.

[٤] البخاري، ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وإليك هذه النماذج والأمثلة من شعب الإيمان الموصلة إلى الجنة:

١) **شـعبة التوحيـد والإيـمان،** قـال الله سـبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون:١]، وقال صلى الله عليه وسلم: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة)[١]، وقال صلى الله عليه وسلم: (يا ابن الخطاب، إذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون)[٢]، و قال صلى الله عليه و سلم: (يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة إلا مؤمن)[٣].

٢) **طلب العلم:** قال صلى الله عليه وسلم: (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة)[٤].

٣) **الجهـاد في سـبيل الله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[التوبة:١١١].

---

[١] البخاري عن أنس رضي الله عنه.

[٢] مسلم، عن عمر رضي الله عنه.

[٣] البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٤] مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)[١]

وقال صلى الله عليه وسلم: (المجاهد في سبيل الله هو عَلَيَّ ضامن إن قبضته أورثته الجنة)[٢]

٤) **الصلاة والذكر:** قال الله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[المؤمنون:٩: ١١]، قال صلى الله عليه وسلم: (من قال سبحان الله وبحمده، غرست له بها نخلة في الجنة)[٣]

٥) **بر الوالدين:** قال صلى لله عليه وسلم: (إلزمها فإن الجنة تحت أقدامها)[٤] – يعني الوالدة- ، وقال صلى الله عليه وسلم: (الوالد أوسط أبواب الجنة)[٥].

---

[١] مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

[٢] الترمذي عن أنس رضي الله عنه وهو في صحيح الجامع.

[٣] الترمذي وابن حبان، والحاكم، عن جابر رضي الله، وهو في الصحيحة.

[٤] أحمد والنسائي، عن جاهمة، وهو في صحيح الجامع.

[٥] أحمد والترمذي، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وهو في الصحيحة.

٦) **كفالة اليتيم والسعي على الأرملة والمسكين وإعالة البنات:** قال صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة، والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله)[١].

وقال صلى الله عليه وسلم: (من كُنَّ له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فاتقى الله وأقام عليهن كان معي في الجنة هكذا وأومأ بالسبابة والوسطى)[٢] .

٧) **الصبر على البلاء والرضى بقضاء الله وقدره:** قال صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يموت له ثلاثة من ولده لم يبلغوا الحنث، إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم)[٣]، وقال صلى الله عليه وسلم: (ما يصيب المؤمن من وَصَبٍ ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كَفَّرَ به مِن سيئاته)[٤].

---

[١] مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٢] أخرجة أبو يعليى في مسنده، عن أنس رضي الله عنه، وهو في الصحيحة.

[٣] البخاري، عن أنس رضي الله عنه.

[٤] مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٨) **عمارة المساجد:** قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ بنى لله مسجداً، بنى الله له بيتاً في الجنة)[١].

٩) **حفظ ما بين اللَّحْيين والرجلين:** قال صلى الله عليه وسلم: (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه، أضمن له الجنة)[٢]، وقال صلى الله عليه وسلم: (من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة)[٣].

١٠) **الإنفاق في سبيل الله:** قال صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم ينفق من كل ما ل له زوجين في سبيل الله إلا استقبلته حجبة الجنة كلهم يدعوه إلى ما عنده)[٤]، وقال صلى الله عليه وسلم: (ما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقه، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة، وما أطعمت نفسك فهم لك صدقة)[٥].

---

[١] ابن ماجه، عن علي رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع.

[٢] البخاري عن سهل بن معاذ رضي الله عنه.

[٣] الترمذي وابن حبان والحاكم، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، وهو في الصحيحة وصحيح الجامع.

[٤] احمد وابن حبان، عن أبي ذر رضي الله عنه.

[٥] أحمد، والطبراني عن المقداد ابن معد يكرب، وهو في الصحيحة وصحيح الجامع.

١١) **إماطة الأذى عن الطريق:** قال صلى الله عليه وسلم: (مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة)[١].

١٢) **التيسير على الناس والرحمة بهم**: (إن رجلاً ممن كان قبلكم أتاه ملك الموت ليقبض نفسه فقال له: هل عملت من خير؟ قال : ما أعلم، قال له: أنظر، قال : ما أعلم شيئاً غير أني كنت أبايع الناس وأحارفهم فأنظر المعسر وأتجاوز عن المعسر، فأدخله الله الجنة)[٢].

ونكتفي بذكر هذه النماذج من شعب الإيمان التي تشمل غاية المسلم وتملأ حياته، وإلا فشعب الإيمان كثيرة، كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والحياء، والعفة، وحسن الأخلاق، والأخوة، والوفاء، والصبر، والشكر، والتوبة، والاستغفار، وغير ذلك من الصفات الإنسانية والأخلاق الحميدة والعبادات الجامعة، وغيرها من الأعمال الصالحة، وهي مفصلة في محلها في كتب أهل العلم التي تناولت هذا الموضوع بالتفصيل[٣].

---

[١] مسلم، عن أبي هريرة رضي الله.

[٢] البخاري، ومسلم، عن حذيفة رضي الله عنه.

[٣] وانظر على سبيل المثال مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين/ للإمام ابن القيم

فالمسلم يبدأ أعماله باسم الله، وينتهي منها بالحمد لله، وعند النعمة يشكر الله، وعند طلب العون يستعين بالله، وعند المحنة يُرْجِعُ الأمر إلى الله، ويُردد: لا حول ولا قوة إلا بالله، وعند الوقوع في الذَّنْب يتوب ويستغفر الله، وفي كل أحواله يذكر الله ويلتزم بشرعه، ويحيا ويموت على طاعته وعبادته.

فماذا فقد من وجد الله؟ وماذا وجد من فقد الله؟

فلا ينشغل المسلم بما خلق الله له عما خلقه له.

فلا ينشغل بالخلق عن الخالق، ولا بالرزق عن الرزاق، ولا بالملك عن المالك، ولا بالعطاء عن المعطي، ولا بالموهوب عن الواهب، ولا بالقوة عن القوي، ولا بِالْغِنَى عن المغني، ولا بأي سبب عن خالق الأسباب ومسببها سبحانه، وليجعل كل ما عنده، وكل ما في يديه، وسيلة لكسب ما عند الله، وليكن نصب عينيه غايته، التي قال الله فيها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦].

ومن مضـامين الغـأيـة:

الاستخـلاف في الأرض.

وكما سبق أن ذكرنا المميزات، التي خص الله بها الإنسان على سائر مخلوقاته، وَبَيَّنَّا أنه لا بد لذلك من مقابل، وهذا المقابل هو:

أن الله جعله خليفة في الأرض، وَحَمَّلَهُ الأمانة، كما قال سبحانه: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:٣٠]، فالإنسان مُسْتَخْلَفٌ أمين، ومن المعلوم أن الْـمُسْتَخْلَف، يسير حَسَبَ أوامر وتوجيهات مَنِ استخلفه، فواجب الإنسان الذي هو خليفة في أرض الله، أن يسير وفق منهجه سبحانه.

ومن معاني الإستخلاف ومقتضياته: ألاَّ يتصرف الْمُسْتَخْلَفُ تصرف المالك الحق، وإنما يعترف لصاحب الحق بحقه، ولصاحب الملك بملكه، ولا يتصرف إلا بإذنه، ولا يفعل في ملكه إلا ما يرضيه، قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ [فاطر:٣٩].

وفي الآية التالية، جَمَعَ بين التكليف بالاستخلاف والابتلاء به، فقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:١٤]، وقد ربط الله تعالى بين الاستخلاف والتوحيد والدعاء، فقال سبحانه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[النمل:٦٢].

ومن معاني الإستخلاف: عمارة الأرض وفق منهجه سبحانه والصِّلة به والتوبة إليه: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

وقد جعل الله الإيمان والعمل الصالح وتوحيد العبودية شروطاً للتمكين والإستخلاف في الأرض، فقال سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[النور:٥٥].

وأما الذين انحرفوا عن منهج الاستخلاف الذي وضعه الله لهم فسيستخلف الله غيرهم، ولن يضروا في النهاية إلا أنفسهم، كما قال سبحانه: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ ﴾[هود:٥٧].

وقد يكون الْخَلَفُ سيئاً، فيتحول من خَلَفٍ إلى خَلْفٍ، كما قال سبحانه: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[مريم:٥٩]، وكما قال جل ذكره: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[الأعراف:١٦٩].

ومن مضامين هذه الغاية

حمـل الأمـانـة:

وحمل الأمانة: هي من عبادة الله، قال سبحانه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب:٧٢].

ولقد ذكر كثير من المفسرين ما يؤيد أن الأمانة هي التكليف فقالوا: إن ما كُلِّفَهُ الإنسان بَلَغَ مِنْ عِظَمِهِ وَثِقَلِ مَحْمَلِهِ أنه عُرِضَ على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواها، فأبت حَمْلَهُ، وحملها الإنسان على ضَعْفِهِ ورخاوة قُوَّتِه.

وروى عن ابن عباس، الأمانة: الطاعة؛ عرضها الله على السموات والأرض والجبال قبل أن يعرضها على آدم، فلم تُطِقْهَا، فقال لآدم: يا آدم، إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطقها، فهل أنت آخذ بما فيها؟ فقال: يارب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جُزِيْتَ، وإن أسأت عُوْقِبْتَ فأخذها آدم فتحملها)[1].

---

[1] تفسير الطبري.

وقال القرطبي: «الأمانة: تَعُمُّ جميع وظائف الدين».

ونسب هذا القول لجمهور المفسرين، فالأمانة هي الفرائض التي ائتمن الله عليها العباد.

قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾ [المعارج:٣٢].

وذكر ابن الجوزي – نقلاً عن بعض المفسرين –: أن الأمانة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

أحدها: الفرائض: ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

الثاني: الوديعة: ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

الثالث: العفة والصيانة: ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [القصص:٢٦].

أمانـة الـرسـل:

وقـد جعـل الله حفـظ الأمانـة مـن أبـرز أخـلاق الرسـل، ومن مؤهلات النبوة والولاية والقيادة، فهذا نوحٌ وهود وصالح ولوط وشعيب يقول كل منهم لقومه: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[الشعراء:١٠٧].

وكما قال الله تعالى، في صاحب سليمان، في إتيانه له بالعرش: ﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾[النمل:٣٩]، وكما قال سبحانه، في قول بنت شعيب لأبيها: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص:٢٦].

وكما قال جل ذكره، في اختيار مَلِكِ مصر، ليوسف صلوات الله عليه، ليمكّنه ويُوَلِّيه: ﴿ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[يوسف:٥٤].

ولأن الأمانة تشمل كل المعاملات والعهود والمواثيق، جعلها الله من أهم صفات المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾[المؤمنون:٨].

قال صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه، وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته)[١].

ولأهمية الأمانة، وَعِظَمِ شأنها في الإسلام، قال صلى الله عليه وسلم: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)[٢].

وقال صلوات ربي عليه وسلامه: (ثلاث مَنْ كُنَّ فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وقال إني مسلم، مَنْ إذا حَدَّثَ كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُؤْتُمِنَ خان)[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: (أول ما تفتقدون من دينكم الأمانة)[٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: (أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك)[٥].

---

[١] البخاري، ومسلم، عن ابن عمر رضي الله عنه.

[٢] أحمد، وابن حبان، عن أنس رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع.

[٣] البخاري، ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٤] الطبراني، عن شداد بن أوس رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع والصحيحة للألباني.

[٥] أبو داوود، والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع والصحيحة للألباني.

الأرض قـاعـة امتحـان:

ومن مضامين الغاية: الابتلاء.

فـالابتلاء في الأرض سـنة الله في خلقـه، ليعبـدوه بأحسـن العمـل، كما قال سبحانه: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك:٢].

ما الغاية مـن الابـتلاء؟ لم يقـل أيكـم أكثـر مـالاً، ولا أكـبر جاهـاً، ولا أعظم جسماً، ولا أكثر عملاً، وإنما: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

وهذه هي الغاية من وجودنا على الأرض، تدبر قول الله عزوجـل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الكهف:٧].

وهذه هـي الحكمـة مـن خلـق الله للإنسـان كـما قـال سـبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[الإنسان:٢].

ومن معاني الابتلاء؛ الصراع والعداوة بين أهل الحق وأهل الباطل، وهذا ما ذكره الله في قصة وجودنا على الأرض، في قوله: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[الأعراف:٢٤، ٢٥] أي: إلى الحياة الأبدية.

وحمل الأمانة والاستخلاف في الأرض لا بد لهما من ابتلاء وامتحان.

كما قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[يونس:١٤].

وذلك ليتبين الصادق من الكاذب: قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[العنكبوت:٣].

وليتبين الشكور من الكفور: قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٢، ٣]، وقال سبحانه فيما حكاه عن سليمان صلوات الله عليه : ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل:٤٠].

والمؤمن من المنافق: قال سبحانه: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [العنكبوت:١١].

والخبيث من الطيب: قال سبحانه: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال:٣٧].

والأمين التقي من الخائن الشقي: قال سبحانه ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس:٨ :١٠].

والرســـول قـــدوتـــه:

فالرسـول صـلوات الله عليـه وسـلامه، هـو القـدوة والأسـوة، والمثـال المعصـوم للمسـلم الـذي جعـل اللهَ عزوجـل غايتـه، والرسول قدوته، والفوز بالجنة رجاءه وطلبه، فتأمل هذا في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:١٢].

فغاية المسلم تبع لغاية النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها الدعوة إلى الله عزوجل، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[يوسف:١٠٨].

وتروي لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، في حديث يصف الغاية للمسلم: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال صلى الله عليه وسلم: (من سأل عني أو سَرَّهُ أن ينظر إليَّ، فلينظر إلى أَشْعَثَ شَاحِبٍ مُشَمِّرٍ، لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، رُفِعَ له عَلَمٌ فَشَمَّر إليه، اليوم المضمار، وغداً السباق، والغاية الجنة أو النار)[1].

---

[1] الطبراني في الأوسط، عن هشام بن عروه عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.

الدعوة إلى عبادة الله وإقامة دينه، غاية جميع الرسل واتباعهم

فالــدعوة إلى عبــادة الله غايــة كــل الأنبيــاء في رســالاتهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ [النحل:٣٦].

وتأمل في هذه الآية الجامعة لمعالم الغاية:

قــــال تعــــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ ﴾ هذا في الصلاة والشعائر التعبدية.

﴿ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ ﴾ [الحج:٧٧]، في كل شئون حياتكم.

﴿ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج:٧٧]، في معــــاملاتكم وأخلاقكم.

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾[الحج:٧٨] لإقامة الدين، وإعلاء كلمة الله.

﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ إختاركم واختصكم لهذه الغاية.

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[الحج:٧٨]، فغايتكم مع أبي الأنبياء وأبي المسلمين واحدة.

ويشهد عليكم الرسول بهذا: ﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ ﴾.

وتشهدون بهذا على الناس: ﴿ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾.

فقوموا بفرائض الله واعتصموا بالله مولاكم: ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[الحج:٧٨].

ويضرب الله مثلاً لغاية المؤمن، وثمارها الصالحة التي لا تنقطع: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم:٢٤].

نماذج من السابقين

ويـذكر الله لنـا نـماذج ممـن سـبقونا بالعمـل للغايـة، حتـى لقـوا الله وفازوا بجنته ومجاورة أنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه.

قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٨، ٩].

ويتتابع الموكب الإيماني في حلقات متواصلة لغاية واحدة: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر:١٠].

وكما قال فيهم جميعاً وفي غايتهم: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران:١١٠].

والمؤمن المذكور في سورة يس، عاش لغايته ومات في سبيلها، فقال ناصحاً لقومه: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس:٢٠، ٢١].

حتى وهو في الجنة لم ينس الغاية، بل دعا قومه إليها: ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس:٢٦، ٢٧].

ويُلَخِّص ربعي بن عامر رضي الله عنه الغاية، في كلمات سَطَّرَهَا التاريخ في أنصع صفحاته: « الله إبتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جَوْرِ الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ».

رابعاً: والآخرة هي المَصَبُّ لأعماله، والحصاد لزرعه:

فالآخرة هي المرجع والمَصَبُّ، والمأوى والطلب.

قال سبحانه: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ : ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ : ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ : ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾[آل عمران:١٩٥]: ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[آل عمران:١٤]: ﴿ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ : ﴿ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾[العنكبوت:٢١] .

فما العمل؟ الجواب في قوله سبحانه: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود:١٢٣].

وسعيك في الدنيا لك أو عليك، وهو زرعك وحصادك: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم:٣٩، ٤١].

وقد سعى لها المؤمن السعي المرضي المشكور، كما قال الله عزوجل: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[الإسراء:١٩]: وكما قال سبحانه: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾.

فسعي المؤمن يُشْكَرُ ولا يُكْفَر: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٤].

وتهنئة من الله لهم، يشكرهم على سعيهم فيقول لهم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإنسان:٢٢].

ويجدون نور غايتهم وبشراها في نهاية المطاف، تأمل قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد:١١]

وهي المطمع والأمل: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف:٤٦] : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء:٨٢]: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المائدة:٨٤] .

والآخرة هي المُبْتَغَى والهدف، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ ﴾ [القصص:٧٧].

وإليها نسرع: قال جل في علاه: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣].

و لها نسابق: قال الله: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد:٢١].

ومن أجلها نتنافس: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴾[المطففين:٢٦].

ولها نعمل: ﴿ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات:٦١].

والآخـرة هـي رجـاء الأنبيـاء وطمـوحهم ودعـاؤهم، قال تعالى في حق يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف:١٠١].

وقال الله سبحانه، في دعاء نبيه سليمان صلوات الله عليه وسلامه: ﴿ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل:١٩].

وقال في دعاء نبيه إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾ [إبراهيم:٤١].

ولأن الآخـرة هـي الـوطن والمنـزل، والسـكن وَالْـمُقَام، والمأوى والمستقر، والحياة الخالدة الدائمة.

فـالربح ربحهـا، والخسـارة خسـارتها، والنجـاة نجاتهـا، والهـلاك هلاكهـا، قـال سـبحانه فيهـا: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٤]، والناس فيها كما قال الله: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود:١٠٥] وكما قال سبحانه: ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾.

فـأعظم مـا يرجـوه المؤمن ويسـعى إليـه، ويَكِـدُّ ويكـدح لأجلـه، ويَـجِدُّ ويجتهد في طلبه، ويبذل ويضحي في سبيله، «أن يفوز بالجنة»

وأعظم ما يخافه ويخشاه ويهرب منه ويَتَّقِيْه، ويدفعه عن نفسه ويَفِرُّ منه « السقوط في النار» : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ﴾ [الإسراء:٥٧].

ولذلك فنحن عند التفكير في مخلوقات الله، ننتهي منه بالخوف من النار، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١].

وعند طلبنا لخيري الدنيا والآخرة، ننتهي منه بالخوف من النار، وذلك في دعائنا : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١]، ونستغفر الله من ذنوبنا لكي ينجينا من النار، : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[آل عمران:١٦].

وحتى عند كل وجبة طعام، نقول: (اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار)[١].

فكل ما يراه المسلم من أنواع النعيم المادية والمعنوية في الدنيا، تَذَكَّر وطمع وَتَطَلَّع لما هو أطيب وأحسن، وأجمل وأَنْفَس في الآخرة ألا وهي « الجنة ».

وكان النبي صلى الله علية وسلم، إذا رأى شيئاً جميلاً من زينة الدنيا قال: (اللهم إن العيش عيش الآخرة)[٢] : (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة)[١] : (اللهم لا خير إلا خير الآخرة)[٢].

---

[١] موطأ مالك، عن هشام بن عروه عن أبيه رضي الله عنه.

[٢] صحيح مسلم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وكل ما يراه المسلم من الخبائث، والمساوئ والقبائح، تُذَكِّر بما هو أخبث منها في الآخرة «النار».

ولا مقارنة بين نعيم الدنيا وعذابها، ونعيم الآخرة وعذابها، فما في الدنيا من نعيم أو عذاب، إنما هي الأسماء، أما في الآخرة، فهي مسميات وحقائق، وهي أشبه بالظل للأشياء.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: (ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء)[٣]، وقال صلى الله عليه وسلم: (ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما أخذ المخيط غمس في البحر من مائه)[٤]

ولأهمية صِلة المسلم باليوم الآخر، وربط قلبه به ، كان آخر ما نزل من القرآن، قول الله عزوجل: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٨١].

---

[١] البخاري ومسلم، عن أنس رضي الله عنه

[٢] أحمد، وهو في الصحيحة للألباني.

[٣] الضياء، عن إبن عباس رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع والصحيحة للألباني.

[٤] الطبراني، عن المستورد، وهو في صحيح الجامع.

والمسلم في كل أعماله وأنشطته يسأل عن حكمها في شرع الله، ويَتَحَرَّى رضا الله وسخطه فيها، فيأتي ما يحبه، ويتجنب ما يغضبه.

لأن الله غايته، والرسول قدوته، والآخرة مَصَبُّ ومُنْتَهَى أعماله.

ويربط القرآن بين غاية المسلم - العبادة- واستقامته عليها حتى يأتيه الموت، فَيُبَشَّر عند الاحتضار بالفوز برضوان الله، ودخول جنته والنجاة من ناره.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٠: ٣٢].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩] وهو الموت.

والدنيا في عقيدة المسلم مزرعة للآخرة، فما يزرعه في الدنيا، يحصده في الآخرة، فذلك يعني الإرتباط الوثيق بين الغاية والجزاء.

كما قال سبحانه:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧] .

وفي الآخرة العوض للمنقوص والمحروم، فالله تعالى يعطيهم عطاءاً لا ينقطع، ويَعِدُهم بالأجر الجزيل والجزاء الأوفى، الذي لا بَخْسَ فيه ولا ظلم، ولا هضم ولا رهق، وهذا ما وعد الله به عباده في قوله سبحانه: ﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ [الجن:١٣]، وفي قوله سبحانه: ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾[طه:١١٢]. وفي قوله سبحانه: ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين:٦]، وكما قال جل ذكره: ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود:١٠٨] ﴿ تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وعلى سبيل المثال من ابتلاه الله بمرض أو عاهة أو فقد حاسة من الحواس كالأعمى والأبكم والأصم والكسيح، والأعرج والعقيم والْـمُشَوَّه في خلقته، والسقيم والمصاب بمرض مزمن وكذلك من وقع عليه ظلم أو بخس أو غبن ... الخ، فصبر واحتسب وطلب ما عند الله

سبحانه من الأجر وآثر ما يبقى على ما يفنى وجد عند الله أعظم المثوبة وحصل على العوض على أكمل وجه وأحسن صورة، قال الله عزوجل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة:١٥٥]، وكما قال سبحانه: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[فصلت:٣٥].

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة، كان حمله ووضعه وَسِنُّهُ في ساعة واحدة كما يشتهي)[١].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى يقول: إذا أخذت كريمتي عبدي- أي عينيه- في الدنيا لم يكن له جزاءٌ عندي إلا الجنة)[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئك بأهل الجنة؛ الضعفاء المغلوبون)[٣].

---

[١] أحمد والترمذي، وابن ماجه، عن أبي سعيد رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع.

[٢] الترمذي عن أنس رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع.

[٣] الطبراني عن ابن عمرو رضي الله عنه، وهو في الصحيحة وصحيح الجامع.

وحال هؤلاء من أهل البلاء، كحال غيرهم من المؤمنين عند الله تعالى إن لم يكونوا أقرب إليه سبحانه، فما يعملونه من الصالحات والطاعات يجدون أجره عند الله تعالى مضاعفاً وكاملاً غير منقوص ولا مبخوس ولا مهضوم، ولا يظلمون شيئاً، قال سبحانه: ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم:٦٠]، ولاحتى مقدار الذرة قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء:٤٠]، وكذلك النَّقير والفتيل، لا يظلمهم سبحانه، كما قال جل ذكره: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا[1] ﴾ [النساء:١٢٤] : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً[2] ﴾ [النساء:٤٩].

وغاية المسلم هي صفقة رابحة، يبيع فيها أغلى ما عنده، نفسه وماله يبيعهما لله عزوجل، ليشتري بهما الجنة.

وهل بعد المال والنفس شيء؟

---

[1] النقير: هو النقرة في ظهر نواة التمر.

[2] الفتيل: هو الخيط الرقيق في وسط نواة التمر.

وهل بعد الفوز بالجنة والنجاة من النار شيء؟

فتدبر هذا الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١١١] ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف:١٠].

خامساً: ثمار الغاية العظمى.

يوم الفرح والسرور للمؤمن

وفرحة المؤمن وسروره يوم يلقى ربه، يوم يصل إلى غايته ويفوز بالجنة، وَحُقَّ له أن يفرح، فطالما اشتاق لهذه الغاية، وحسب لهذا اليوم حسابه، وعمل له عمله، إمتثالاً لأمره سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥]، وبقوله سبحانه: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات:٦١]ووعده الله على أحسن ما عمل بأحسن الجزاء وعظيم الأجر، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[النحل:٩٧]: وتحقق وعد الله بالجزاء الأوفى الكريم، فقال سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الزخرف:٧٢] وهنأه الله على ذلك فقال: ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [الزمر:٧٤]، وعلى قدر اجتهاد المسلم في العمل لغايته يكون أجره عليها.

قال صلى الله عليه وسلم: (يقال لصاحب القرءآن إذا دخل الجنة: إقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد، لكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه)[١].

والسر في فرح المؤمن، أن الدنيا بالنسبة له سجن يعمل فيه، وينتظر الخروج منه، لينقلب ويرجع إلى أهله ووطنه، وبيته وداره ومنزله «الجنة».

لأن الله تعالى لما خلق آدم، وأمره أن يدخل الجنة، حيث جعلها وطنه وسكنه، ثم اقتضت حكمته سبحانه، أن يخرجه منها ليعود إليها، وذلك عَبْر الإيمان بالله والإعتصام بحبله، والتمسك بشريعته، ليعود بعد ذلك إلى أرض الوطن الخالده، ويخرج من سجن الدنيا إلى دار النعيم الابدي الذي لا ينفد.

قال صلى الله عليه وسلم: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)[٢].

فبعد الإطلاق من السجن، تظهر على وجوههم الْبُشْرَى والفرحة، والبياض والْنَّضَارَة والْنُّعُوْمة، ولا تراها إلا مُسْفرة ضاحكة مستبشرة.

---

[١] احمد، وابن ماجه، عن أبي سعيد رضي الله عنه، وهو في صحيح أبي داوود، وصحيح الجامع.

[٢] مسلم، الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

كما قال الله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٧] ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ﴾ [الغاشية:٨]: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢] ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح:٢٩] ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾ [عبس:٣٩].

وهذا السرور والفرح واضح بَيِّنٌ في قول الله عزوجل: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ [الإنشقاق:٧: ٩].

ويناديه الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، ليعود إلى أرض الوطن، وإلى الأهل والسكن، مطمئناً راضياً عن ربه مرضياً عنه، فتدبر هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:٢٧: ٣٠].

ولم يأمر الله عزوجل عباده بالفرح والافتخار بمكاسب الدنيا، وشهواتها وَزِينَتِهَا، لأنها ليست غاية، بل حَذَّرَ منها، فقال سبحانه:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه:١٣١]، وقال جل ذكره: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر:٨٨].

ونهى عن الفرح بها، فقال سبحانه: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد:٢٣].

وقال سبحانه في قارون وقومه: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص:٧٦].

وقال جل وعلا: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام:٤٤].

فبماذا نفرح؟

إن الله أمر عباده المؤمنين أن يفرحوا بفضله ورحمته: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ تأمل تمام الآية:

﴿ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾[يونس:٥٨]، وفضل الله ورحمته في الآية التي قبلها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[يونس:٥٧].

والذين اسْتُشْهِدُوا من أجل غايتهم، تتواصل فرحتهم، كما قال سبحانه: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [آل عمران:١٧٠].

مظاهر الفرحة العظمى والنعيم الدائم الذي لا ينقطع

فالمؤمن في الآخرة قد وصل إلى غايته، وكما استقام على الصراط المستقيم في الدنيا، ثَبَّتَ الله قدميه على الصراط في الآخرة، فتحقق له أمله وطموحه، وحصل على مطامعه، فوجد عند ربه كل ما اشتهت نفسه وَلَذَّت عينه، ومن أبرز مظاهر النعيم الذي بَلَغَهُ وَوَصَلَ إليه في الجنة:

١) **الخلود والدوام والكمال والتمام:** قال جل ذكره: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [النساء:٥٧] : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴾ [ق:٣٤] ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد:٣٥]، فهم آمنون من الموت، كما قال سبحانه: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الدخان:٥٦] وكما قال سبحانه عما يقوله المؤمن لأحد خصومه من أهل النار: ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الصافات:٥٦: ٦٠].

قال صلى الله عليه وسلم: (يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة خلود لا موت، ولأهل النار: يا أهل النار خلود لا موت)[١].

وقال سبحانه: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٢، ٣٣] فلا مقطوعة بزمن ولا ممنوعة بثمن: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان:٥٥] : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤].

قال صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، ينادي مناد، إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تَصِحُّوْا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً، وإن لكم أن تَنْعَمُوا فلا تبأسوا أبدا)[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: (الجنة بناؤها لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر، وَحَصْبَاؤُهَا اللؤلؤء والياقوت، وتُربتها الزعفران، من يدخلها يَنْعَم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم)[٣].

---

[١] البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٢] مسلم، عن أبي سعيد رضي الله عنه.

[٣] أحمد، والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع.

وقال صلى الله عليه وسلم: (يدخل أهل الجنة الجنـة، جُـرْداً مُـرْداً، كأنهم مُكَحَّلُون، أبناء ثلاثاً وثلاثين)[1]

٢) **الْـــمُلْكُ والثَّـــرَاء:** ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان:٢٠] ، فكـل مـا يَدَّعيـه المـؤمن ويشـتهيه ممـا يـراه، لا يُـرد لـه طلـب، ولا يُمْنَع مما يَدَّعيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [فصـــلت:٣١] ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر:٤٠].

وأدنى أهل الجنة منزلة؛ مـن يعطيـه الله تعـالى مـن الملـك والنعـيم، مثل الدنيا عشر مرات، قال صلى الله عليه وسلم: (إني لأعلم آخر أهـل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً: رجل يخرج من النـار حَبْـواً فيقـول الله لـه: إذهـب فادخـل الجنـة فيأتيهـا، فَيُخَيَّـل إليـه أنهـا مـلأى، فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى فيقول الله له: إذهـب فادخـل الجنـة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها فيقول: أتسخر بي، فلقد رأيت رسـول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه)[2].

---

[1] أحمد، والترمذي، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع.

[2] البخاري، ومسلم، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

٣) **الرضـا والسـلام والأمـان:** قـال سـبحانه: ﴿ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجـر:٢٨]: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [المائـدة:١١٩]: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس:٢٥] : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس:٥٨]: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر:٤٦] : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان:٥١] : ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ [النمل:٨٩] ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الدخان:٥٥].

٤) **الطمأنينة والقرار والاستقرار:** قال جل في علاه:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان:٧٥، ٧٦]: ﴿ وَإِنَّ ٱلْأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ [غافر:٣٩].

بعكس نعيم الدنيا الزائل، الموصوف بالنقائص، والمنغصات والعيوب، والمخاوف والمفاجئات، والفراق والانقطاع.

لأنها ليست غاية، تأمل هذه الآية: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى:٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل:٩٦].

وقال صلوات الله عليه وسلامه: (أهل الجنة جُرْدٌ مُرْدٌ كُحْلٌ لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم)[١].

ولأن أهل الجنة لا يتعبون فهم لا ينامون، لأن النوم إنما هو راحة المكدودين والكادحين، ولا كَدَّ هناك ولا كدح.

فعن جابر رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله: (أنيام أهل الجنة؟ قال: النوم أخو الموت، ولا يموت أهل الجنة)[٢].

قال القرطبي وغيره: «ليس في الجنة ليل ولا نهار، وليس فيها شمس ولا قمر، وإنما هم في نور دائم أبداً، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحُجُبِ وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار، برفع الحجب وفتح الأبواب».

وقال صلى الله عليه وسلم: (يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جُشَاءٌ كرشح المسك)[٣]، وفي رواية: (قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك)[٤].

---

[١] الترمذي والدارمي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع.

[٢] البيهقي في الشعب، عن جابر رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع والصحيحة للالباني.

[٣] مسلم، عن جابر رضي الله عنه.

[٤] مسلم، عن جابر رضي الله عنه.

والجنـة دار جـزاء وثـواب لا دار عمـل، قـال الله جـل وعـلا: ﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴾ [يس:٥٥] ،ويقـال لهـم:﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾[الحاقـة:٢٤]: ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [المرسلات:٤٣]، وفي الحـديث : (وإنـما يُلْهَمُـوْن التسبيح والتحميد كما تُلْهَمُون النَّفَس)[1].

[1] مسلم، عن جابر رضي الله عنه.

ليس في الجنة مُنَغِّصَاتٍ ولا مُكَدِّرَات.

فالمؤمن قد سبق أن مَرَّت عليه الْـمُكَدِّرَات والْـمُنَغِّصَات في الدنيا، فصبر واحتسب على ما أوذي من أجل غايته ورضا ربه والجنة، كما قال تعـــالى: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [المؤمنـــون:١١١]، وكما قال سبحانه: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة:٢٤] : ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد:٢٤].

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان:١١، ١٢].

فالمؤمن في الجنة لا يتعب ولا يَنْصَب، ولا يضيق ولا يحزن، ولا يعاني من حسدٍ أو غلٍ من أحد، تدبر هذه الآيات: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر:٣٤،٣٥] وقوله سبحانه: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ [الحجر:٤٧].

والمؤمن في الجنة لاَ يُـخَطَّأ، ولا يُؤَثَّمُ، ولا يُكَذَّبُ، ولا يُلاَم.

تأمـل هـذه الآيـات: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعـة:٢٥]: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴾ [النبأ:٣٥]: ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴾ [الغاشية:١١].

ويمـنحهم الله عزوجـل زيـادة عـلى كـل ذلـك، زيـادة خاصـة، حلـول رضـوان الله عليهم، والنظـر إلى وجهـه الكـريم، قـال الله عزوجـل: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبـة:٧٢]: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦].

وقال صلى الله عليه وسلم، فيما يقول الله لعبـاده المؤمنين في الجنـة: (... ألا أزيدكم أُحِلُّ عليكم رضواني)[1].

وقال صلى الله عليه وسلم : (فما أُعْطُوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزوجل)[2].

---

[1] البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[2] مسلم، عن صهيب بن سنان الرومي، رضي الله عنه.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة

الإهداء

تقديم القاضي العلامة/ محمد بن إسماعيل العمراني

تقديم الأستاذ المربي الداعية/ محمد بن حمود الخميسي

المقدمة

المدخل

الغاية: **معناها- أهميتها- أنواعها - عواقبها - ثمارها**
أولاً: **معناها**: **لغة واصطلاحاً**
ثانياً: **أهميتها**.

أ- مِنْ أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟

ب- للإنسان نظامان.

ج- المميزات التي خص الله بها الإنسان

د- حياتنا على الأرض.

ه- أسئلة ستة.

الناس في فهم الغاية صنفان.(بصير مهتد، وأعمى ضال)

قصة السكران.

ثالثاً: **أنواعها**:

القسم الأول: **الغايات النكدة**.

١. من الناس من غايته المال والطموح في الثَّرَاء.

ودرس بليغ من الإستاذ الشهيد الزبيري.

٢. ومن الناس مَنْ غايته الجاه والمنصب والسلطان.

٣. ومن الناس من غايته الإكثار من البناء والتوسع في اكتساب الأرض.

٤. ومن الناس من غايته الإنغماس في الرذيلة.

٥. ومن الناس من غايته المأكل والمشرب والملبس.

٦. ومن الناس من غايته طلب الشهرة.

عواقب هذه الغايات ومصير أصحابها.

أمنيات ومساومات.

القسم الثاني: **الغاية العظمى**: **عبادة الله**

العبادة: معناها.

الله غايته.

إستحضار النية الصالحة في جميع الأعمال الأحوال.

ومن مضامين الغاية: حمل الأمانة.

ومن مضامين الغاية: الإستخلاف في الأرض.

الأرض قاعة إمتحان

والرسول قدوته.

الدعوة إلى عبادة الله وإقامة دينه غاية جميع الرسل وأتباعهم.

نماذج من السابقين.

رابعاً: والآخرة هي المصب لأعماله والحصاد لزرعه، ومحط أطماعه وآماله.

خامساً: ثمار الغاية العظمى.

يوم الفرح والسرور للمؤمن.

مظاهر الفرحة العظمى والنعيم الدائم الذي لا ينقطع.

ليس في الجنة منغصات ولا مكدرات

إن السعادة أن تعيش لفكرة الحق التَّلِيْد
لعقيدة كُبْرَى تَحل قضية الكون العتيد
وتجيب عما يسأل الحيران في وعي رشيد
من أين جئت وأين أذهب لم خلقت؟ وهل أعود؟
فتشيع في النفس اليقين وتطرد الشَّك العنيد
وَتُعَلِّمُ الفكر السَّوي وتصنع الْخُلُق الحميد
وَتَرِدُّ للنهج المُسَدَّد كل ذي عقل شَرُوْد
تعطي حياتك قيمة رَبُّ الحياة بها يشيد
ليظل طرفك رانياً في الأُفْقِ للهدف البعيد
فتعيش في الدنيا لأخرى لا تزول ولا تبيد
وتمد أرضك بالسماء وبالملائكة الشهود
هدى العقيدة للسعيد هي الأساس هي العمود
من عاش يحملها ويهتف باسمها فهو السعيد